الجزء الاول

من

الصراط المستقيم

في الرد على مؤلف النهج القويم لناشر اعلام الصوفية
عامة وناصر الطريقة المحمدية التجانية على
الخصوص بين الاعلام قاضي مدينة
سطات بالمغرب الاقصى

الشيخ احمد سكيرج

رضي الله عنه
آمين

طبع سنة ١٣٥٨

Si Ahmed Skiredj

مطبعة النهضة - نهج باب سعدون رقم ١٩ تونس

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على الفاتح الخاتم وءاله وصحبه وسلم

الحمد لله رب العالمين الهادي من العالمين من شاء السلوك به على الصراط المستقيم سبحانه سبحانه ما اعظم شانه لا اله الا هو ارسل نبيه سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ناصر الحق بالحق الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق صلى الله وسلم عليه وعلى ءاله واصحابه واتباعه حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله عن اهل الله اجمعين وبالاخص الخاتم الاكبر شيخنا ابي العباس التجاني سقاني الله ومحبه باعظم الاواني اما بعد ولله الامر من قبل ومن بعد فانه قد القى الي من مصر المحروسة كتاب ضمنه سؤال وجواب موسوم بالمنهج القويم في بيان ان الصلاة الفتحية ليست من كلام الله القديم عليه توقيع مؤلفه الاستاذ الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوي المالكي احد علماء الازهر لننظر ما فيه وندعو لائمتنا ولاهل الطرق جميعا وللمسلمين احياء وامواتا بدعوة صالحة فرفعنا اكف الضراعة لمن بيده الحول والقوة ان يسلك بالجميع مسالك النجاة ويوفقنا لما فيه رضاه والعمل بالعلم وان كانت فيه بضاعتنا مزجاة وفي طالعة الكتاب التنبيه على انه قد اشتمل على نحو خمسين بحثا يتخللها كثير من مباحث علم الاخلاق والتصوف الذي هو خلاصة علوم الدين وزاد اهل اليقين فتلقيته بكلتا اليدين ووضعته على الراس والعين من غير استنكاف مني لبراعة استهلاله وما تضمنه مقام مقاله غير اني استشعرت من ملقيه الي انه يريد عرضه على المقصرين اما ان يكون قصد بذلك تنبيهي بلسان الحجج التي جلبها فاعمل بمقتضاها وتكون له مزية مقال عمر لان يهدي الله بك رجلا واحدا احب اليك من حمر النعم او احب الي مما طلعت عليه الشمس واما ان يكون قصد بذلك الاسترشاد والاستفهام على راينا فيما اشتملت عليه نسخته من الكتاب التي تمت بها هدايته

فكانت جلبة في مضمار القبول لما جلبه فيها او جلبة سباق في ميدان المناضلة على
الطريقة التجانية التي اطلق فيها عنان قوله ليقع بانصافنا الرد عليه بمثل حججه من
غير تعصب فيما ارشد اليه فاجلت النظر فيما سطر من اوله الى ءاخره فسمعت
باذن الفكر لغة مؤلفه فيه ينطق بلسانين بلسان المدح اولا وبلسان القدح ثانيا فمحا
الحسنة بالسيئة بما ابداه من الابداع في مباحثه التي لو وقف معها كان صاحب مبدا
يقف يقف الناظر في ذلك معه فيه على قدم الانصاف ولا يتلون في كلامه تلون الحرباء
باعتساف ولقد كنت ظننت ان الصلاة الفتحية التي اشار لها غير صلاة الفاتح لما اغلق
لان النسبة للفاتح يقال عليها فاتحية لا فتحية وحين عرفت مقصوده بما اطلعت عليه
باعدت نفسي على الخوض معه في هذا البحر الذي غرقت في ساحله الافكار ولا
ينجو الخائض فيه من الاخطار وصادف حلولها بين يدي وانا بمدينة سطات بالمغرب
الاقصى قدوم رئيس الطريقة التجانية سليم الصدر رفيع القدر سيدنا الطيب بن
سيدنا علي حفيد سيدنا الشيخ التجاني رضي الله عنه من عين ماضي بقصد تفقد
الزوايا ومريدي هذه الطريقة العرفانية فاطلعته رضي الله عنها واخبرته بما انطوت
عليه على سبيل الاجمال فاخذها بيده وتصفح منها اوراقا وردها الي وقال لي انت
الكفؤ المكافيء لها والمكافي على بيان الحق بما يكافيك الحق به قايلا نحن نظن فيك
بما نرجوه لك اكثر مما تظنه لنفسك وترجوه لها ثم جرت المفاوضة بيننا في موجبات
الانتقادات المرة وان اكثرها منسب عما يتناول موضوعها المؤلفون في طريقتنا
التجانية المحمدية وان الاليق بمن يريد تحرير تاليف فيها ان يوجه الوجهة
للاعراض عن كل ما تتوجه اليه الاعتراضات مما يظهر لعلماء الظاهر انه مخالف لما
تقرر لديهم وبلغ اليه علمهم وان الاولى ايضا الاشتغال برد ما ينسب لهذه الطريقة
ببيان الحق فيه ورد تقولاتهم التي تقولوها على الطريقة ومؤسسها رضي الله عنه فان
المنتقدين قد تفننوا في الانتقادات التي ابدوها وابدعوا فيها بما كادوا ان يفتنوا به
المقتدين ولم يكن الانتقاد بقاصر ممن لا اعتقاد لهم في الطرقيين بل شاركهم في
ذلك من ينتسب لغير هذه الطريقة بل حتى من نفس اخوانها الذين انقطعوا عنها

لاسباب لا موجب لذكرها هنا في هذا المحل فالمتعين على من يريد طرق باب التاليف والتصنيف فيها رد الوجهة الى التكلم مع هولاء المتقدين بلسان العلم مع الانحياش لجانب الانصاف والاعراض عن الاعتساف من غير ان يتداخل في ذلك جهلة المريدين في محاججة المنتقدين فانه لو سكت من لا يعلم استراح من يعلم ثم اكد علي في رد ما ليس بحق في هذا المنهج الذي سلكه مؤلفه رفيق سيدنا المذكور ذو الشيبة المنورة الفقيه السيد السامي محمد بن محمد بن ستالة التاجموتي قائلا ان حبك في الشيخ وطريقته ومحبته خلفائه فيك وسائر الاخوان وبالاخص مولانا الطيب رئيس الزاوية الان الذي طلب منك الاعتناء بالرد على هذا المنتقد يقضي عليك بان تجعل هذا الاقتراح من الامر المهم الذي يتعين التعجيل به عسى ان ينتفع بما تمليه اهل الاعتقاد ويرتدع اهل الانتقاد فانشرح الصدر منا لذلك بعد قبض وتحقق لدي ان الدفاع عن حمى الطريقة كما اعتقده فرض واي فرض فاعدت النظر فوجدت السؤال مرفوعا لجماعة من اهل المذاهب الاربعة المتخرجين من الجامع الازهر وفرهم الله وقد ذكر مؤلف هذا المنهج الذي انهم اسندوا له تحرير الجواب عن هذا السؤال الذي قدمه اليهم حضرة الفاضل السيد محمد الاعتابي المراكشي المستوطن الان بمصر المحروسة وهو من خواص المحبين في الشيخ ابي الفتح النظيفي مؤلف منظومته المسماة بالخريدة بشروحها وكتابه الطيب الفايح والورد السانح في صلاة الفاتح بتعليقها له وغير ذلك من مؤلفاته التي عم نفعها للمريدين في هذه الطريقة وغيرهم وحرم من الانتفاع بها المنكرون ولعل موجب رفعه ذلك السؤال اليهم هو ما كان وقع الجمع من علماء القرويين عليه بالامر المولوي اليوسفي رضوان الله عليه للنظر فيما صدر من ابي الفتح المذكور في تنويهه بقدر صلاة الفاتح لما اغلق المشهورة بالياقوتة الفريدة

فكان ما كان منهم على قدر ... فظن خيرا او لا تسال عن الخبر

وسنتعرض لهذه القضية فيما سأكتبه هنا اعلاما بالواقع ونحن لا نتهم سيادة الاعتابي المذكور في عرض سؤاله على علماء الازهر وانه لم يقصد الا خيرا ليستفيد

منهم ما ينتفع به شريعة وطريقة بوقوفه في ذلك على عين الحقيقة فقد تعرفنا به معرفة سطحية بتردده للزاوية المباركة التي بها ضريح الشيخ رضي الله عنه ايام السلطان السالف العلامة القادة مولانا عبد الحفيظ بن المقدس مولانا الحسن وكان من صدر الكتبة في ديوانه في ذلك الحين وقد كان السلطان المذكور منسلخا عن عهد الطريقة التجانية بعد ان تلاقاها عن جماعة من المفتوح عليهم فيها وصار من اشد المنكرين على مثل ما انكره صاحب المنهج وحكى لي السيد الاعتابي المذكور ما وقع له معه حين كان مستخدما في كتابة وزارته فدخل عليه مرة على حين غفلة في محل تناول اشغال الامور المخزنية فوجد بين يديه اوراقا من مؤلف في الطريقة فاقامه من محلـه وجلس في محله وصار يتصفح تلك الاوراق وما كان اخفاه عنه في مكتبه ثم قام وحفظه الله منه ولقد من الله على السلطان المذكور بالتوبة النصوح من الطعـن في الطريقـة وصار الان من اكبر المدافعين عن الصوفية وطرقهم وبالاخص الطريقة التجانية ومحل اقامته الان بامونصور النواحي البارزية قسمه على محل خلوة عبادة ومكتبة تاليف ومحل مذاكرة وغيرها حتى كان الجالس فيه في روضة من رياض الجنة ومن طالع كتبه فيها علم ما لهذا السيد رضي الله عنه من صدق المحبة في الجناب الاحمدي وقد وقفت على ارجوزته المسماة بالجامعة العرفانية التي تناهز الف بيت وعلى شرحها الكبير له عليها في نحو خمسة اجزاء كبار على نحو ربعها وعلى تاليفه المسمى بنحر الجزور الذي ابدى فيه واعاد في الرد على بعض المبغضين في هذه الطريقة وعلى تاليفه المسمى نفثة مصدور وغير ذلك مما تقر بمطالعته عيون الاحبة جازاه الله خيرا وكثير من ذوي الانصاف مثل سيدنا المذكور ممن ظهر لهم الحق بعد ان اعرضوا عن هذه الطريقة وما قصروا من الاعتراض على المؤلفين فيها ورجعوا عما كانوا فيه يخوضون فحسنت احوالهم بالعود اليها واحسن الله اليهم بتوفيقهم بالقيام باورادها والمحافظة على شروطها التي منها اداء الصلواة على احسن ما يكون وقد جرت عادة الله في المنكر ان يبتليه بالتهاون بها وذلك من علامة انتصاره لاهل الله فانه يكفيهم من عدوهم قلة دينه كما ورد بذلك

بعض الاثار ونقله السيوطي في الجامع الصغير ولقد اجتمعت بالسيد الاعنابي المذكور قبل اول عام اول حين مررت على مصر المحروسة حيث زارنا في مجمع الاخوان الذين لم يقصروا من الاعتناء بنا باعظم احتفال باحتفاء جازاهم الله خيرا وقد شاهدنا على اسرة جبينه ما اسره من الاعتقاد الجميل ومن اسر سريرة البسه الله رداهم وكانه لا زال على عهده متمسكا بحبل الطريقة وحب اهلها ولولا ذلك ما حملته العاطفة الاخائية على صلة رحمه بنا هنالك مع الاحباب الذين تشرفت بحضورهم لدينا وواسطة عقدهم ناشر راية العرفان الشيخ محمد الحافظ التجاني حفظه الله غير ان ذلك السؤال الصادر منه كان من حقه ان لا يرفعه لهؤلاء العلماء الذين انتدبوا اصاحب المنهج للجواب عنه طبق ما اشار اليه بل المتعين عليه ان لو رفعه لعلماء الطريقة ليوقفوه على عين الحقيقة ولا يتعرض به للمبادرين للاعتراض مثل المؤلف المذكور وغيره ممن يخوض في العلوم الرسمية ما بين نقلية وعقلية ولم ينزل عليه طابع من طوابع القبول من احد من السادة الصوفية وانه لقليل من قليل منهم ممن يجتمع باحد من اهل الله فانتفع على يده وسلمت طويته من الحقد على طريقة لم يسلك فيها ولو قدما والجم الغفير من هؤلاء القوم لا يرون الحق الا معهم لا مع غيرهم وانهم على الهدى فيما سلكوه وغيرهم على ضلال ويجدون من المنتصرين لهم اعوانا بداعية هوى وافق شن طبقة طابقه فاعتنقه فان جل اصحاب الاغراض يميلون لمن يحبون الانتفاع منه ويتزلفون له بما يرون انه يحبه كما وقع لمن استفتهم الحضرة اليوسفية فيما صدر من المقدم النظيفي في قضية كون الفاتح لما اغلق التي ذكر انها من كلام الله القديم فظنوا انهم مجبورون على الافتاء بما لم يوافقهم عليه الا كل متخوف على نفسه حتى من علماء اهل الطريقة التجانية بما ءال مئاله ال عدم الالتفات اليه ولقد وقع الهرج في المجمع المنعقد في بالقرويين للنظر في ما قاله واختلط الحابل بالنابل والعالم بالجاهل فكتبوا ما استقر عليه رايهم اخيرا مما هم مسئولون عنه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ولقد حدثني شيخنا العلامة الرئيس سيدي الحاج عبد الكريم بنيس التجاني رحمه الله وكان من جملة من حضر في ذلك

المجمع الذي خلا فيه الجو للمتغالين من حل مبغضي الطريقة التجانية بانه اراد فتح
باب المذاكرة في هذا الموضوع فلم يجد من القوم منصتا منصفا بل لم يجد الا متعسفا
حيث قال يمكن ان يقال ان الكلام كله على الحقيقة لله تعالى واضافته الى غيره مجاز
لانه ان كان قديما فهو صفة ذاته وان كان حادثا فهو فعله واسلفت اليه بعض الانظار
ليزيد بسطا في الكلام الحقيقي والمجازي فقال بعض اعضاء المجلس العلمي ممن حضر
مخاطبا له ان هذا المجاز علاقته هنا اللعنة فقال له شيخنا المذكور عليك ان تقول الحق
فعندئذ التفت اليه احد القضاة الحاضرين وقال له ماكان من حقك ان تقابله بمثل
هذا الجواب والمجلس لم ينعقد للمجادلة والمخاصمة فقال له شيخنا المذكور البادي
اظلم والحق واضح حتى عند من لم يعلم ثم انفض ذلك المجمع والقلوب غير
سليمة وادى ما افتوا به الى تجري العامة على العلماء بانتهاك حرمتهم من ذلك الوقت
وقد تلاقى احد المتجردين منهم بشيخنا المذكور وهو مار باحد الاسواق فقال له
مستهزئا باستفتائه هل تصح ياسيدي الصلاة بتلاوة الفاتح لما اغلق لكونها من كلام
الله القديم فاجابه شيخنا المذكور بقوله لا تصح الصلاة بتلاوة التوراة ولا بغيره من
الكتب السماوية لكونها ليست بقرءان ولو كانت من كلام الله القديم فضلا عن صلاة
الفاتح لما اغلق ولو عند اهل التسليم في عدها من الكلام القديم ومثلك لا ينبغي له
الخوض في مثل هذه المسالة ان اردت السلامة لنفسك فخجل بمقابلته بالرفق وكان
يظن ان يقابله بعنف بجراءته عليه ولله في خلقه شؤون وستقف على مطالع هذه
العجالة التي اقوم بين يدي نجواي فيها لاهل الانصاف بان بضاعتي في العلم مزجاة
ولكن وثوقي بصدق الحب في الجناب الاحمدي وحب اهل الله اجمعين وفي الامام
امامهم الاعظم صلى الله عليه وسلم ان اكون مؤيدا بالتوفيق متبرئا من الدعوى التي
تظهر من فلتات اللسان المرة بعد المرة بقصد وبغير قصد وقد انتحلنا اسما لهذا
الرقيم وهو الصراط المستقيم في بيان الحق من قول من يقول ان صلاة الفاتح لما
اغلق من كلام الله القديم وبيان خطا مؤلف الجواب المسمى بالمنهج القويم ويحسن
بنا ان نقدم امام البحث في المنهج القويم المذكور تمهيدات

التمهيد الاول في حقيقة الكلام القديم

وما يضاف الى الحق منه وما لا يسوغ اضافته اليه

من المعلوم الذي لا يحتاج فيه الى اقامة دليل لكونه معلوما من الدين بالضرورة ان الحق سبحانه متكلم على الدوام والاستمرار وليس كلامه بمحصور لا في القرءان ولا في سائر الكتب والالواح وغير ذلك مما نزل على الانبياء عليهم السلام من ءادم الى خاتم النبيين وما نزل على غيرهم بوحي الالهام مثل ام موسى عليه السلام وما فعله الخضر معه حيث يقول وما فعلته عن امري على ما ذهب عليه جمهور علماء اصول الدين من انه غير نبي كما ان ام موسى غير نبية لكونها انثى والنبوة خاصة بالرجولة الكاملة وقد كلم الله موسى تكليما وكلم غيره من الانبياء عليهم السلام اجلالا لهم وتعظيما كما كلم غيرهم بواسطة ولا زال ولن يزال متكلما ومكلما عندنا معشر الاشاعرة بكلام قديم ولا علينا في من خالف مذهبنا من فلاسفة وصابئة وحشوية ومعتزلة وغيرهم ممن لا حاجة لنا في التعرض لما قالته كل فرقة منهم على نفيه واثباته مع وصفه بكونه متكلما بكلام نفسي قديم كما عليه اعتقادنا او متكلما بكلام حادث كما عليه المعتزلة فمن شاكلهم وهم من الكفر فروا فلا نسارع الى القول بتكفيرهم ولا بتكفير من تبعهم تقليدا او اجتهادا الا من كان من الفلاسفة فهم كفار بما قالوه وتقولوه في جانب الحق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فان الحق متكلم بكلام قديم عند اهل الحق غير محصور لكونه قديما ومن قال بكلام حادث يلزمه حصره وتناهيه وعلى كل حال فانه سبحانه متكلم ومكلم ايضا على الدوام والمتكلم على الدوام لم يمنع من سماع كلامه مانع شرعي الا ما كان من ادعاء تكليمه له بلا واسطة فان الحق قد كذبه بقوله وما كان لبشر ان يكلمه الا وحيا واما من ادعى تكليمه منا ما او بواسطة الهام فلا سبيل لاحد ان يقول بمنعه الا اذا تجرا على تكذيب من حصل له ذلك وهو من سوء الظن بخلق الله وشر الخصال فانه ورد خصلتان ما فوقهما من الشر شيء سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله ولزيادة ايضاح المقام

ننقل هنا سؤالا مذكورا في فتاوي العلامة ابن حجر وجوابه عنه اتماما للفائدة فقد سئل رضي الله عنه عن معنى كلام الله تعالى لموسى صلى الله عليه وسلم وغيره وهل يمكن سماع غير موسى له فاجاب بقوله كلام الله وان لم يكن من جنس كلام المخلوقين يسمعه من اكرمه الله من رسله وملائكته بواسطة او غيرها قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الاية وقال تعالى وكلم الله موسى تكليما قال بعض ايمة المالكية من انكر ان الله تعالى كلم موسى استتيب فان تاب والا قتل قال بعض المتاخرين والكلام على الحيقة كله لله واضافته الى غيره مجاز لانه ان كان قديما فهو صفته وان كان حادثا فهو فعله لانه بخلقه وارادته ومن ثمة اتفقت الامة على انه تعالى متكلم فعند الاشعرية الكلام قائم بذاته العلية ويعبر عنه بالكلام النفسي وانكر المعتزلة ذلك وقالوا معنى كونه متكلما خالق للكلام والاجماع على انه تعالى كلم موسى للاية المصرحة بذلك يرد عليهم اذ الاصل عدم المجاز واختلفوا في صفة سماعه للكلام النفسي فاهل الظاهر قالوا نومن به ولا نتكلم فيه قصدا منهم الى انه متشابه وقالت الباطنية خلق الله لموسى فهما في قلبه ولم يخلق له سمعا ومذهب اهل السنة ان الله خلق له فهما في قلبه وسمعا في اذنيه وسائر بدنه سمع به كلام الله من غير صوت ولا حرف بغير واسطة وزعم المعتزلة جريا على مذهبهم الفاسد في انكارهم الكلام النفسي ان الله تعالى خلق له فهما في قلبه وصوتا في الشجرة سمعه وقد نقلنا هذا الكلام هنا لانا سنحتاج الى الاحتجاج به في ما سنقرره بحول الله وقد اشرنا لبعض ما تضمنه سابقا والمقصود اظهار الحق لاهله والله الموفق

التمهيد الثاني في الكلام على القرءان العظيم

ليتضح ان صلاة الفاتح لما اغلق ليست بلفظها منه

من المعلوم ان القرءان هو ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى ورحمة ونور وحكمة وشفاء لما في الصدور وهو المعجزة الكبرى التي

دامت لدينا ففاقت كل معجزة من النبيين اذ جاءت ولم تدم

قد رق لفظا وراق معنى فجاءت في حلاها وحليها الحسناء

بل لا زال ولن يزال

كل يوم يهدي الى سامعيه معجزات من لفظه القراء

تحلى به المسامع والافـ واه فهو الحلي والحلواء

وهو وان اشتمل على ما اتضح به الدين باوضح عبارة واتم اشارة بلسان عربي مبين فلا زالت كنوزه تفتح بمفاتح الغيب التي تناولها ايدي الافكار المنورة من حضرة الوهب من حكيم عليم حتى كانه الى الان لم تفض ابكار معانيه التي لا زالت تبرز من خدور مغانيه وما هو الا معجزة الاسلام الباقية في الرونق الباهر على الدوام ولقد تحدى به الرسول قومه فمن بعده لياتوا بسورة من مثله فما قدروا ولن يقدروا وخاب سعي كل من رام معارضته وصار اضحوكة بين القوم وارغم انف كل من تعرض له من ملاحدة الاسلام الذين تعرضوا على ما تجلى فيه من بدايع وروايع وعجائب وغرائب ليتقربوا بذلك الى اعداء الدين والله متم نوره ولو كره الكافرون وكاني بمن تعجبه نفسه في التعرض لكل سانحة ان يبادر بالاعتراض على تشبيهه بما سبق وانه اعلى واجل مما شبه به فنقول

لا تعجبوا مما ضربت له به مثلا وما لسناه من مقياس

فالله جل علاه شبه نوره للفهم بالمشكاة بين الناس

انزله الحق بواسطة جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم منجما منذ ارسل الى ان توفاه الله اليه فبلغه طبق ما انزل باتم توضيح وبيان وما كتم شيئا من الرسالة التي تحملها على وفق ما ارضى الله به وقد رام صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه ان يصرح لاصحابه ببعض ما خير في الاخبار به فكثر لديه اللغط فاقامهم من عنده لاقراره لهم على اجتهادهم بالاكتفاء بهذا الكتاب الذي لا يداخلهم ولا يداخل غيرهم من المومنين ادنى ارتياب وكان بعض اصحابه يقول الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين ما حاوله عليه السلام فلم يكن ذلك منه عليه السلام كتمانا ولا عد ذلك منهم نقصانا فلا بدع اذا تلقى اهل الله بعد وفاته الى الان

وبعد الان بعضا مما كان اراد كتبه وليس فيه بعد تقرر الشريعة على اتم الوجـود ومن تشريع وانما هو من قبيل التعريف والتبيان بقدر قابلية من اكرمه الله بالاجتماع به فقال منه من نال وليس على اهل الله في ذلك من تقولات من لم يكن من حزبهم لوقوفه في ما يشجه لهم قيل وقال والعجب في تسارع من لم يحصل الا على بعض القواعد العملية الى الحكم على غيره بما اقتضاه فهمه مع قصر باعه وعدم اطلاعه على سائر الموازين التي نصبها الشرع امام طلاب الحقيقة من اهل الحق بين الخلق فكان حظ كل مذهب من المذاهب الاسلامية ما وزنوه فيهـا ومـا عيب لدى اهل الحق على كل مجتهد في عدم تقليده لغيره من المجتهدين فيما اختاره مذهبا له وان خالفه ولم يكن ذلك لديهم من تفريق الدين ولا كانوا في ذلك شيعا وهم من الهادين والمهتدين طبق ما قضى به عليه تمسكهم بحبل السنة والكتاب ذلك الكتاب الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بين العارفين بالحق والقائلين به ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولقد تكلم شيخنا القطب التجاني رضي الله عنه بلسان التحقيق في حقيقة القرءان ودلالته على كلام الله حسبما نقله عنه الخليفة سيدي الحاج علي حرازم برادة في جواهر المعاني في فصل ذكر الايات القرءانية على طريق اهل الاشارة الربانية بما شفى به غليل من تدبره ولا عبرة بمن اعترض عليه وانكره بما وقع الفراغ منه ردا وجوابا وتحقق المقام فيه حقا وصوابا والعجب ممن قاموا في هذه الأزمنة الاخيرة يحيون ما مات من الابحاث بانتقادات حارة بجدة مرة وكانهم لم يقفوا على ما قاله غيرهم او تقوله على الشيخ والطريقة وظهر انتصار الحق على امثالهم بين الخليقة بما ظهرت فيه الحقيقة في مظهرها الحقه ولم يكن سيادة المجيب عن هذا السؤال باول من تعرض في جوابه بالاعتراض بما وقع الفراغ من الجواب قبله عنه بل تبع غيره ممن كان قصاراهم القصور التام في عدم وقوفهم على ما حرره من سلف من الاعلام فقد قام قبله النميلي من اهل مصر بالانكار على الشيخ رضي الله عنه في مسالة دلالة القرءان على كلام الله وذلك قيد حياة الشيخ قدس سره فقام في وجهه مفتي الحاضرة التونسية ابو اسحاق

الرباحي رحمه الله فالف تاليفا في رد ترهات المذكور سماه بمبرد الصوارم والأسنة
في الرد على من اخرج الشيخ التجاني من دائرة اهل السنة بعد ان اخبر الشيخ
رضي الله عنه بذلك فامره بان يعرض عنه لتحققه بانه ما حمل النميلي على ذلك الا
الحسد الذي اعماه عن مشاهدة وجه الحق ولكن ابو اسحاق المذكور لم يصله امر
الشيخ رضي الله عنه الا بعد الفراغ من ذلك الرد المذكور في رقه المنشور وقد القم
به حجرا فم النميلي واضرابه فاقتصر عليه بما انتشر من نسخ المبرد في ذلك الابان
الى الان وهو مطبوع وقد تكفل غيره من الاحباب والاخوان من قديم بالرد
على كل منتقد لما ظهر له من المقالات التي احيوها وهم في عمى عما بين من ذلك
اتم بيان فهل اطلعوا على العضب اليماني للعلامة محنض بابا الشنجيطي او اطلعوا
على الجيش وسريته للعلامة محمد الصغير الشنجيطي او اطلعوا على الجواب المسكت
للعلامة محمد بن احمد اكنوس السوسي المراكشي ونحو هذه المؤلفات التي طبعت منذ
اعوام وطبع غيرها مما فيه ارغام انوف المنكرين المنتقدين والمبغضين فلو طالعتها
هذه الشرذمة التي لم ترقب في مومن في الشرذمة ولم تال جهدا في الطعن في هذه
الطريقة واهلها وهم ارباب جرائد ومجلات وقتبة من اصحاب الاغراض الشخصية
لما تجرا احد منهم على احياء تلك الايرادات المفروغ من اجوبتها ولربما اطلعوا
على ذلك ودلسوا على الناس في عدم تعرضهم لما انطوت عليه الاجوبة من براهين
قاطعة لاوداج الانكار ولم يبق فيه لقائل ما يقول بين ذوي الانظار فلترشد اهل
الانصاف الى مراجعة تلك التآليف المشار لها وبعده يفوض لهم الحكم بما اقتضاه
العلم الصحيح والعقل الرجيح فاذا تقرر ما يقر به كل مسلم من كون القرءان من
كلام الله وانه في اعلى مرتبة من كل ما يطلق عليه كلام فانه لا يتنزل منزلته غيره
حتى من الكتب السماوية المنزلة على غير من جاء به عليه السلام الا ما كان من
التشبيه به من خروجه من حضرة الغيب وبكون المشبه به يعد من كلام الله كما عد
هو من كلام الله وان لا يساويه في المنزلة فاذا قال احد ان التوراة بمنزلة القرءان في
كونه من كلام الله او خرج من الغيب كخروج القرءان فلا لوم عليه واذا اطلق ولم

يعرف مقصوده من التشبيه فلا لوم على من لامه والاولى له ان يحمله على المحمل الذي يظهر له انه موافق لاعتقاد الحق وقد يطلق كلام الله حتى على مطلق كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وقد وقع السؤال كما في الاجوبة الكبرى لابي محمد الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي على الاحاديث النبوية هل يقال فيها كلام الله فنقل في جوابه عن جلال الدين السيوطي ما نصه نعم يقال انها كلام الله قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقد صح ان جبريل كان ينزل على النبيء صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقران الى ان قال واختلف في عود الضمير وهو قوله هو فقيل يعود على القرءان وقيل يعود على المصدر المفهوم من الفعل وهو ينطق اي ما نطقه الا وحي يوحى وهذا احسن من عوده على القرءان لانه لم يجر له ذكر ولا يشمل حينئذ جميع نطقه صلى الله عليه وسلم وعوده على النطق يعم ذلك اي نطقه بالقرءان وبالسنة . ولا شك ان نطقه بغير القرءان وان كان وحيا لا يكون بمنزلة القرءان الا من حيث كونه وحيا خرج من حضرة الغيب ولا لوم على من يقول ان نطقه النبي بمنزلة القرءان كما هو واضح ولم يبق الا الكلام فيما ليس من كلامه صلى الله عليه وسلم هل يقال فيه هو بمنزلة القرءان فيقال ان الخطب في ذلك سهل لانه على ضرب من المجاز ولا يراد بذلك تنقيص القرءان ولا الحط من كلام الله بهذا التشبيه وهذا في مطلق كلام الخلق اما ما خرج من حضرة الالهام وتحقق العارفون به من انه من كلام الحق وقالوا انه بمنزلة القرءان وقصدوا بذلك كونه من كلام الله او خرج لهم كما خرج القرءان من حظرة الغيب فلا معنى للحكم على القائل لذلك بما يدل على التعجيل بالحكم الذي يقال فيه لذلك الحاكم

ما انت بالحكم الترضى حكومته ولا الاصيل ولا ذي الراي والجدل

على انه لا يلزم ايضا ومن اختار التقييد بحبل الحب في اهل الله بتصديقهم التقييد بمن لا يصدقهم او يتسارع بالانكار عليهم بما لم يحيطوا به علما ولما ياتهم تاويله وقد اعتقد جماعة من الاعلام والجم الغفير من اهل الاسلام تصديق اهل الله فيما يقولونه من تكليم الرسول صلى الله عليه وسلم لهم فيقولون قال لنا رسول الله صلى

الله عليه وسلم كيت وكيت وكلامه عندهم في اليقظة او النوم بعد وفاته بمنزلة كلامه قيد حياته وهو صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهواء لا في قيد الحياة ولا بعد المماة فكلامه وحي وقد اخبر صلى الله عليه وسلم حبيبه التجاني بان فضل صلاة الفاتح الخاص بها لا ينال الا بشرطين بالاذن الخاص واعتقاد انها من كلام الله فلذلك قال العلامة النطيفي انها بمنزلة القرءان لكونها خرجت من حضرة الغيب كما خرج القرءان وهو من الكلام القديم وسياتي لنا مزيد ايضاح في الابحاث المنوطة بذلك في ترجمة صاحب هذا المنهج الكلام فيما يفيد خبر الصحيفة البكرية وغيره بما لم نجلب عليه بخيل ولا ركاب وانما هو من فتح الملك الوهاب والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات

زيادة بسط في هذا البساط

ثم لا يعزب عن علم كل عليم ان القرءان الكريم من جملة كلام الله القديم وهو غير محصور في القرءان لان القرءان محصور في المصحف كما قالت ام المومنين عائشة رضوان الله عليها بين دفتي المصحف الكريم كلام الله والاضافة في قولها كلام الله اما تبعيضية اي بعض من كلام الله واما بيانية على معنى هو كلام الله لا من كلام غيره بكل ما ليس مكتوبا في المصحف العظيم فهو غير قرءان سواء نسخ لفظه وبقي معناه او حفظ لفظه ولم يكتب فيه كسورة الخلع وسورة الحفد فهما غير قرءان وان ثبت انهما من كلام الله ولا يجوز ادراجهما في المصحف فاحرى زيادة غيرهما فانه يحرم الزيادة فيه على ان الزيادة منه وكل من تعمد الزيادة فيه حكم عليه بالردة والكفر كمن تعمد النقص منه ولو حرفا واحدا ولذلك قيل بكفر الحجاج بن يوسف في نقص اللام من قوله تعالى لفي خسر حيث فتح ان من قوله تعالى والعصر فلم يرض بتلحينه فتعمد حذف اللام الموجبة لكسر ان بقطع النظر عن القسم فيما قيل ولقد نقل غير واحد عن امام الهجرة مالك بن انس رحمه الله انه قال لا يسوغ كتب كلمة من القرءان على انها قرءان الا على الوجه المكتوب في المصحف بمراعاة الحذف والثبوت صيانة لكلام الله من النقص اما تعمد نقص حرف ثابت فيه فهو ردة

لمن تعمده كما هو مقرر في كتب الفقه ولا يخالف في ذلك احد الا عن جهل به او
سهو وخطا او غلط فان ذلك من قبيل المعفو عنهم لرفع القلم عنهم حتى يرجعوا
عن سهوهم ونسيانهم فلم يبق لهم عذر في الرجوع الى الحق وهذا امر لم يخالف
فيه احد فاذا ادرج احد في القرءان شيئا على ان يدلس بقرءانيته فقد ارتد عن دينه
ولا يقبل احد منه ذلك لان الكتاب محفوظ عن الزيادة بل ولا النقصان مما نبهنا
عنه ولا يحتاج فيه الى برهان فاذا ادعى احد قرءانية شيء ليس بين دفتي المصحف
وانه من القرءان فلا يقبل منه ذلك بخلاف ما اذا زعم انه من كلام الله فقد يكون
صدوقا في دعواه وينفق امره اذا توفرت فيه دعاوي التصديق بصلاح وصدق مقال واخبر
بذلك عن يقين من طريق لا يتطرقه فيه ادنى ارتياب مثل ما اشترط في حصول
ثواب صلاة الفاتح من اعتقاد كونها من كلام الله القديم وهي غير قرءان فان تصديق
من اخبر بذلك لا يضر المؤمن في اعتقاده بتنزيه كلام الله عما لا يناسبه وهذه
الصلاة الفريدة لا حكم تشريعي حاصل بها لا من حيث الامر ولا من حيثية النهي
بل هي من جملة صيغ الصلوات على النبيء صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه صلى
الله عليه وسلم مامور بها بعد الاخبار بصلاة الله عليه في قوله تعالى ان الله
وملائكته يصلون على النبيء يايها الذين ءامنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وصلاته
سبحانه عليه من كلامه القديم وليس في نسبة هذه الصلاة الشريفة تنقيص لكلام الله
الا اذا قيل ان كلام الله لا يطلق الا على ما ورد عن الشارع واما ما لم يرد عنه
فلا يقال فيه من كلام الله وقائل هذا يطالب بحجة تلائم دعواه حيث ان كثيرا من
اهل الله ادعوا تكليم الحق لهم ونحن لا نرتاب فيما خاطبهم به طبق ما اخبروا
بذلك عنه وخطابه من كلامه القديم وليس تكذيبهم بهين حتى يقال ان ما قيل
عنهم تقولوه او تقول عنهم وسنزيد ايضاحا في هذا المقام في تمهيد مكالمة الاولياء
بحول الله سيما اذا كانت كلامية شيء لا نقص يلحق الحق في نسبتها اليه كما تلقى
الشيخ التجاني عن النبيء صلى الله عليه وسلم كلامية صلاة الفاتح وان فضلها لا
يحصل الا باعتقاد كونها من الكلام القديم فهو مخبر بما تلقاه ولم يكن ذلك من

عندياته زيادة على ما بلغنا عنه انها خرجت من حضرة الغيب البكري مكتوبة بقلم القدرة فهي من جملة الصحف الالهامية التي عثر عليها اهل الله وقد نوه القاضي عياض في شفاءبما وجد بقلم القدرة مكتوبا على اوراق الشجر وعلى صفحات الحجر من اسم النبيء صلى الله عليه وسلم قبل بعثه وبعدها ولم يستنكر ذلك ولا استكفه احد من جلة علماء الاسلام ولم يلم احد منهم من نسب ذلك للحق فلا جرم اذا قيل ان ذلك من الكلام القديم بالهام من عثر عليه وتحقق به بوارد الهامه لان كلام الله غير محصور في شيء وهو يصدر من حضرة الغيب لمن اكرمه الله به ومن هذا القبيل صلاة الفاتح الا ان قول الرجل الصالح ابي الفتح النطبقي انها بمنزلة القرءان يحتاج فيه الى ايضاح مراده من ذلك وهو انها خرجت من حضرة الغيب كما خرج القرءان من حضرة الغيب لا انها من القرءان ولا انها مساوية له في الفضل ولا انها بمنزلته في الاعجاز به والتحدي الذي بهر به العقول ولا زال يبهر بما يكتشف منه اهل المعقول والمنقول على اننا لا شك عندنا في ان كيفية انزال القرءان مخالفة لكل ما نزل من كلام الله القديم على النبيء صلى الله عليه وسلم وعلى غيره من سائر الانبياء فتنزيل الفاتح لما اغلق منزلة القرءان فيما قاله ليس من سائر الوجوه وباعتبار وجهة واحدة في التشبيه لا ينبغي للمنصف ان يسارع اتضليل هذا السيد الذي هو من خاصة العارفين في هذا الزمان على ان قوله بمنزلة القرءان عند من لم يعرف مقصوده منها لا ينبغي ان يلحق باعتراضه عليه غيره من اهل هذه الطريقة ويحكم بضلالهم وهو لم يعرف الحقيقة

التمهيد الثاني في الكلام على الحديث القدسي

من المعلوم في اصطلاح علم الحديث إن الحديث القدسي هو من جهة المعنى من عند الله تعلى ومن جهة اللفظ فهو من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما اخبر الله تعلى به نبيه عليه السلام بالهام او منام فيخبر صلى الله عليه وسلم عن ذلك المعنى الذي اخبره الحق به بعبارة نفسه وهو دون القرءان في الفضل والقرءان مفضل عليه

لكونه نزل عليه صلى الله عليه وسلم باللفظ المتعبد بتلاوته التي كل حرف منه بعشر
حسنات الى اضعاف مضاعفة طبق الوارد مشروط مسه بالطهارة بخلاف الحديث
القدسي فانه لا يصلى به ويشترط فية ما يشترط في الوارد من اقواله صلى الله عليه
وسلم ولا يعد قدسيا غيره الا ما كان من انزل على الانبياء عليهم فاخبر به الرسول
عليه السلام والا كان من قبيل المكالمة الواردة عن الصوفية بكثرة وقد قال الراغب
في سفينته في فائدة ذكرها في الفرق بين القرءان والحديث القدسي ما نصه قال المولى
الكرماني في اول كتاب الصوم القرءان لفظ معجز ومنزل بواسطة جبريل عليه
السلام وهذا غير معجز وبدون الواسطة ومثله يسمى بالحديث القدسي والالاهي
والرباني فان قلت الاحاديث كلها كذلك كيف وهو لا ينطق عن الهوى قلت الفرق
فان القدسي مضاف الى الله تعلى ومروي عنه بخلاف غيره وقد يفرق بان القدسي
ما يتعلق بتنزيه ذاته تعالى وصفاته الجلالية والكمالية قال الطيبي القرءان هو اللفظ
المنزل به جبريل على النبيء عليه السلام والقدسي اخبار الله معناه بالالهام او المنام
فاخبر النبيء صلى الله عليه وسلم بعبارة نفسه وسائر الاحاديث لم يضفها الى الله ولم
يروها عنه فالحديث القدسي كما علمت طريقه الالهام يتلقاه النبي من حضرة الغيب
وطريقه ايضا خطاب الحق للنبي في حضرات الرؤيا وهو غيب في غيب ورؤيا الانبياء
وحي وقد ورث من فيوضات هذه الحضرة الاولياء امامهم الاعظم عليه السلام فيما
يخاطبهم به الحق على طريق الالهام يقضة او مناما وجميع ما يتلقونه من هذا القبيل
فهو الهام معمول لديهم به وليس في الالهامات المقبولة لديهم ما يخالف الشرع بل
انها كلها من حيز التعريف بما يستنهض الهمم ويزرع فيها حب الشارع للخير
وغالب ما يقع لهم في مناجاتهم للحق ومكالمته لهم وقد دعا الحق جميع المكلفين
للدخول لحضرة مناجاته التي يستحضرها كل قاري للفاتحة بلسانه وجنانه فيخاطب
الحق بخطاب الحضور في قوله في حضرة اياك الاول المعترف فيها بالعبادة التي توصل
بها في حضرة اياك الثاني فالاعتراف بالاستعانه به فهو خبر منه في ضمنه الطلب
فدخل من باب الحضرتين المذكورتين للتصريح بطلب الهداية في هذه المناجاة التي

تكاد ان تكون مشافهة في حضرة الاحسان حتى خاطب تاليها مولاه بناء الخطاب في بساط انعمت ولو ١ له الفتح لسمع جواب الحق له يقول لك ما سالت وكثير من اهل الله من سمع ذلك بلسان الالهام من غير ايهام فهم يتلقون من هذه الحضرة ونحوها بحسب الوراثة مثل ما تلقاه مورثهم عليه السلام فليس من المستكر ان تكون صلاة الفاتح خرجت من حضرة الغيب كما خرج الحديث القدسي للنبي صلى الله عليه وسلم من الحضرة الغيبية وقد تحقق كونها من الكلام القديم باخبار النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ رضي الله عنه فلم يداخل الشيخ رضي الله عنه شك في ذلك فعمل على الشرط المشروط وتبعه من صدقه في هذا الخبر وقد كان شيخنا العارف بالله ابو العباس العبدلاوي مصمما على هذا الاعتقاد غير انه لا يصرح به الا لمن تحقق بمحبته للشيخ قدس سره واهل التسليم من احبابه وقد استفدنا منه ذلك بالاذن الخاص لنا في ذكر هذه الصلاة الشريفة ولم يخطر ببال احد من اهل الاعتقاد انكار ما يشترط في تحصيل خاصية ذكر من الاذكار عند العارفين من اهل الاسرار ولذلك لم يلتفتوا الى ما يستكره منه بعض المتفقهة الجامدين على ما تراءى لهم من الرسوم التي لا يشم منها رائحة ما فهموه الا بقياس من غير نص صريح في ذلك وسيرى المطالع صدق ما قلناه في تتبع مباحث صاحب المنهج التي اطال بها في جوابه الذي قلب فيه ظهر المجن بما يكاد ان يعد منه فحونا في الطعن في الشيخ واتباعه وطريقته وقد اعتمد حتى على ما تنشره المجلات التي تملا الفضا صراخا بما ليس تحته طائل ولله الامر من قبل ومن بعد

التمهيد الثالث في معنى الالهام

الالهام هو القاء الحق في قلوب عبيده ما فيه صلاحه واصلاح حاله بما يعود عليه نفعه الدنيوي والاخروي مما يختص به او يعمه مع غيره بمقتضى فجورها وتقواها فتجتنب هذه النفس الملهمة الفجور وتعمل بالتقوى وترشد غيرها بالتعريف بذلك وقد يتاكد شان الالهام في حق من اكرمه الله به من اهل العقول حتى يطلق عليه

---

١ لنا حياض بعد قوله ولو ولعل الاصل ولو ثبت له الفتح

وحي كما في قوله تعلى واوحينا الى ام موسى ويكون لغير ذي العقل كما في قوله تعالى واوحى ربك الى النحل ويكون وحيا حقيقيا في حق الانبياء والرسل عليهم السلام لتحققهم بتعريف الحق لهم بما هم مطالبون به في التبليغ لمن امروا بمتابعتهم بما شرعه الحق بوساطتهم وقد يكون الهاما من غير تشريع وانما هو للتنويه بقدر ما الهموه كما في بساط ثناء النبي صلى الله عليه وسلم بالمحامد التي يلهمها كما اشارلها في حديث الشفاعة وقداختلف العلماء في العمل بالالهام فقالت طائفة يعمل به مطلقا في حق المحق من الملهمين والمقتدين بهم اذا لم يخالف قاعدة من قواعدالدين فاما اذا خالفها فليس بالهام رباني وانما هو ايهام شيطاني ويحتاج في التفرقة بين الالهام والايهام الى اتساع عارضة في العلم الصحيح مع كمال رجحان العقل السليم من الخطا فيما يزينه من ذلك واحوال اصحابه وما دام الموفق لم يتحقق من نفسه معرفة جميع الموازين الشرعية فليقف امام اهل الالهام مطاطىء الراس بغاية الاحترام ولا يتجرا على ما الهموه بالنكير عليهم بما يفضي به الى هتك حرمتهم فان الحق يغار عليهم وقليل من اهل الانكار من سلمت طويته في الانتصار للشريعة فقام بالحق للحق بين الخلق واتهام نفسه اولى بالقضاء على غيره بما لديه وقالت طائفة لا يعمل به لان الملهم غير المعصوم قد يقع في شبكة شيطانية وفخ كاسر الجناح من وقع فيه وانما يعمل به المحق في خاصة نفسه وليس بحجة على غيره ولو كان في اعلى مرتبة من المعرفة بالله ولقد قال ابن السبكي في جمع الجوامع الالهام ايقاع شيء في القلب يثلج به الصدر يخص به الله تعلى بعض اصفيائه وليس بحجة لعدم ثقة من ليس معصوما بخواطره خلافا لبعض الصوفية ﻫ واذا تبين ان من الصوفية من يقول بحجيته فلا معنى للانكار على من يعمل علية باعتماد منه على من يقول به من هؤلاء الصوفية الا اذا كان الالهام مجمعا من علماء الظاهر والباطن على مخالفته لما جاء به الرسول عليه السلام فيكون العامل به حينئذ على خطر قد خاطر فيه بنفسه ان كان ذا عقل ونظر الا اذا كان مسلوب الارادة خارجا عن قيد التكليف فله حكم يخصه ولا يتبع عليه لا في عقيدة ولا في عمل ويختلف مشار الالهام باختلاف المكرم به

على حسب ما قدر له من المعرفة بالله وبحسب النفحة التي تهب عليه من حضرة القدس فتارة يكون بالقاء في الروع وتارة بالتلقي بواسطة الوارد من هاتف او وجوده من غير قصد اليه ولو تعلقت الهمة بحبل حب التحصيل عليه كما وقع للقطب البكري في تحصيله على صلاة الفاتح التي طالما دعا الله ان يكرمه بما ينطوي عليه من سر سائر الصلوات على سيد الكائنات عليه السلام فاتم الله عليه نعمته بها طبق ما رجاه وسياتي الكلام فيها من هذه الجهة مستوفي بحول الله وما حررناه هنا وما قبله من التمهيدات انما هو ارشادات لمن يريد الورود من عين التحقيق في البحث في المباحث التي القاها مؤلف المنهج وغيره في الطعن في مؤسس الطريقة التجاني مما سيحك على معيار النقد وينتج عنه القبول والرد وقد كشفنا الحجاب على المرءات التي تتجلى فيها صورة افكاره سقيمة او مستقيمة وحاشى ان نقابله منا بالبذاء ابنة شفه ومن يعن في المجد لا ينطق بما سفه وقد ءان ان نجاريه في ميدانه الذي جرى فيه ونبين له ولامثاله ما خفي عنه من حق لا يمكنه ان ينفيه

والناس من خلفه قاموا بداعية ... منهم لتحقيق حق صار متضحا

فان يكن منصفا عدوه ذا رشد ... اولا ولا قدر المولى فما ربحا

وان الغالب من احوال اصحاب الرياسة في العلم ان تستولي عليهم الانانية بفخفخة النخوة النفسانية فلا يرجعون للحق ويكابرون فيه ويستكفون من الرد عليهم ولا يقبلون ممن هو اصغر في نظرهم منهم مع ما هم عليه باطنا مما يقضي عليهم بطردهم من ساحة العلماء وقد سنح لي ان انقل هنا كلاما لابي حامد الغزالي مناسبا لهذا الموضوع ليعرف كل منا مقداره في العلم والعمل به وتحقيق الطريقة الموصلة الى الحق فيما يخبر به اهله فقد قال رضي الله عنه بعد ان ذكر ما رءاه جنود ابليس من احوال الصحابة والتابعين فمن بعدهم واعجابهم من الاولين وشفاء غليلهم من الاخرين ما نصه فان قلت من اين عرف قائل هذا ما قاله ابليس ولم يشاهد ابليس ولا حدثه بذلك فاعلم ان ارباب القلوب يكاشفون باسرار الملكوت تارة على سبيل الالهام بان يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون

وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الأمثلة كما يكون في المنام وهذا اعلى الدرجات وهي من درجات النبوة العالية كما ان الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فاياك ان يكون حظك من هذا العلم انكاره‍ا جاوز حد قصورك ففيه هلك المتمذلقون من العلماء الزاعمون انهم احاطوا بعلوم العقول فالجهل خير من عقل يدعو الى انكار مثل هذه الامور لاولياء الله تعالى ومن انكر ذلك للاولياء لزمه انكار الانبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية قال بعض العارفين انما انقطع الابدال في اطراف الارض واستتروا عن اعين الجمهور لانهم لا يطيقون النظر الى علماء الوقت لانهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند انفسهم وعند الجاهلين علماء قال سهل التستري رضي الله عنه ان من اعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام اهل الغفلة وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي ان يصغى الى قوله بل ينبغي ان يتهم في كل ما يقول لان كل انسان يخوض فيما احب ويدفع ما لا يوافق محبوبه ولذلك قال الله عز وجل ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هويه وكان امره فرطا والعوام العصاة اسعد حالا من الجهال بطريق الدين المعتقدين انهم من العلماء لان العامي العاصي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان انه عالم فان ما هو مشتغل به من العلوم التي هي وسائله الى الدنيا عن سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا عليه الى الموت وقد غلب هذا على اكثر الناس الا من عصمه الله تعالى وانقطع الطمع من اصلاحهم فالاسلم لذي الدين المحتاط لنفسه العزلة والانفراد عنهم

التمهيد الرابع في المكالمة عند الصوفية وما الحق بها

ليتضح كون صلاة الفاتح لما اغلق مما لا تنافيه ولا ينافيها

لقد شاع بين الصوفية المحمديين الذاتيين والصفاتيين والسالكين والمجذوبين تكليم الحق لهم بهاتف وبدون هاتف بما يتلقونه من الحضرة القدسية يقظة ومناما

وبنوا على ذلك في طرق السلوك منار اهتداء لهم وللمريدين المقتدين بهم من اهل الاعتقاد ما اوصلهم للمراد من غير التفات منهم لذوي الانكار والانتقاد وكل من القى نظرة اجمالية او تفصيلية لما راج بين اهل الحق منهم وكانت فيه اهلية للنظر في ذلك لم يجد فيه ادنى شيء يخل بالعقيدة السالمة من النزعات الاهوائية ولا ما يهتك ستار الشريعة المحمدية لانهم اهل حق بالصدق الذي اوصلهم الى الحق وفي مقدمة هؤلاء القوم المحدثون المكلمون المشار لهم بقول الرسول عليه السلام ان يكن في امتي محدثون فعمر منهم ومعلوم موافقاته التي وافقه الوحي عليها فكانت من الشرع المقرر وقد اعتبر الشرع صحة تاويل الراسخين في العلم الذين الهموا بالرائد الحقاني بالفهم عن الله في القرءان المجيد في بساط وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم وحضرة يستنبطونه منهم ومقام رهبانية ابتدعوها ونحو ذلك مما لا ينافيه الشرع وعد تشريعا مقبولا بتعريف الحق لهم فيما اراده منهم فكان ذلك منه لهم بالهام تام كما الهم ام موسى عليه السلام وليست من اهل النبوة ولا من اهل الوحي ولكن الهامه لها من كمال التحقق في حضرة خطاب الحق لها نزل منزلته فاطلق عليه وحي حيث يقول تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم فخافت عليه فالقته وهو فلذة كبدها ولولى تحققها بالالهام الحقي ما القته في موضع الخطر ولكن عملت بمقتضى الالهام فنجا طبق الوعد الصادق فهي من اهل الولاية الذين يكلمهم الحق ويعملون بمقتضى ما يتلقونه من حضرة الغيب ولو بما يقضي في ظاهره بالقاء المسئولية عليهم فيه الا ترى الى ان الشرع لا يبيح القاء مثل هذه المراة ولدها في اليم المتسع الارجاء الذي يكاد العاقل ان يجزم ويقطع بان رده اليها بعد ان خاضت اللجج به في تيارها وغاب عن اعينها من قبيل المحال ومع ذلك فقد انجز الحق لها بما وعدها به طبق الالهام الذي عملت به وهكذا ما الهمه الخضر في قضيته مع موسى حيث خرق السفينة وقتل نفسا بريئة وبنى جدارا ولم يتخذ عليه اجرا وذلك كله بمحضر الرسول موسى عليه السلام وما كان فعله الا عن الهام عمل بمقتضاه وتحقق به في سره فاعتمد عليه في ذلك وقال وما فعلته

عن امري وهكذا الشان في المسلمين الذين تحصل لهم مكالمة الحق وهي اعلى مقام يتمكن فيه صاحبها في درجات الاحسان ومشاهد المشاهدة الاختصاصية الممنوح بها اهل الفتح من اهل الله وقد تكون المشاهدة بلا مكالمة ولكن المقام الارفع ان تصاحبها ولا تكون المكالمة بدون مشاهدة ولذلك طلبها العارف بالله الامام الشاذلي حيث يقول في حزبه الكبير وهب لنا مشاهدة تصحبها مكالمة فان المكالمة في مقام المشاهدة تدل على الصحو لان الجلال المتجلي حال المشاهدة يغلب على المتجلى عليه فيغيب بمشاهدته عن مكالمته فلا يفوت صاحب المكالمة التلذذ بها وبما ينتج عنها بخلاف المصطلم المطبق عليه بما تجلى عليه في حضرة المشاهدة ولذلك كان المخبرون بمكالمة الحق لهم دائما اهل سلوك وقليل من اهل الجذب من يخبر بمكالمة الحق له حين يرجع لرشده وصاحب المكالمة الذي حصلت له لا يذكرها الا على سبيل التستر في مقامه عن غير اهل الانتفاع به فيفزع ١ انكاره في قالب التمويه الذي لا يتحقق بامره فيه الا اهل التصريف التام وقد اخبر بمكالمة الحق لهم ممن لا تتطرق التهمة فيهم من قادات الامة في علم الظاهر وعلم الباطن طبق ما اشرنا اليه ولم يكن ذالك بتشريع منهم فهذا الامام احمد بن حنبل رءى الحق تعالى تسعة وتسعين مرة في مرائيه وساله في الرؤيا الموفية الى مائة على افضل ما يتقرب اليه المتقربون فاجابه بان ذلك تلاوة كلامه فقال يا ربي افهم او غير فهم فقال بفهم وغير فهم فسمي جوابه كلاما وهو من الالهام الذي لا يمكن ايهامه فيه ولا تكذيبه فيما رءاه الا اذا نفى المكذب هذه الرؤيا من اصلها ونسب للانتحال الجم الغفير الذي نقلها ونسبها لهذا الامام بغض الطرف عن المكذب لها من اصلها وتشبث باذيال من نسبها لهذا الامام فنعتمد على تسليمهم لها ولا نلتفت للمكذبين وليس ذلك من التشريع في الدين وهو ثواب ليس عندنا في البشارة به من ارتياب فنعمل عليه وعلى امثاله مما تلقى ثوابه في حضرة الالهام مثل الثواب المنوط بصلاة الفاتح لما اغلق ولا علينا فيمن انكره وقد ورد فمن بلغته فضيلة فانشرح لها صدره فليعلم انه من اهلها فليعمل بها ومن لم ينشرح لها صدره فليترك العمل بها لانه ليس من اهلها كما سياتي نقله ونحن ولله الحمد

---

١ الذي في الاصل فيفزع بالزاي ولعله فيفرغ بالراء انتهى مصححه

من اهل الفاتح لما اغلق فنعمل على ما بلغنا فيها ولا علينا فيمن حرم من فضلها مع الاسف عليه ان كان صادق النية سالم الطوية ولسيدي محمد وفا رضي الله عنه

سمعت الله في سري يقول   انا في الملك وحدي لا ازال
وحيث الكل مني لا قبيح   وقبح القبح من حيثي جميل [١]

فهذه مكالمة سرية ليست بخيالية شعرية فلا جرم ان عددنا قوله انا في الملك وحدي لا ازال من كلام الله القديم الذي الهمه هذا العارف الغارف من بحر المعرفة بالله ما لا يمكن لاحد ان ينكره الا اذا كان مطموس البصيرة فلا كلام معه ولقد نقل الشعراني في كتابه البحر المورود ما حكاه عن ابي يزيد انه كان يقول سالت الله ان يشفعني في اهل عصري فاذا بالهاتف يقول شفعناك فيهم والله غفور رحيم فهذا وان كان الخطاب على لسان الهاتف الذي يسمع صوته ولا يرى شخصه فانه من المكالمة التي تمت بها البشارة له ولمن صدقه ولا يستعظم مثل هذا الا من لا تقبل حوصلته ما لله من فضل وقد حكوا عن ابي يزيد ان الحق سبحانه باسطه في بعض مباسطاته فقال له يا عبد السوء لو اخبرت الناس بمساويك لرجموك بالحجارة فقال له وعزتك لو اخبرت الناس بما كشفت لي من سعة رحمتك لما عبدك احد فقال له لا تفعل فسكت ومثل هذه المكالمة كثير ولا يستبعد وقوعها الا من حرم من حسن الظن في العارفين بالله فلم يتمكن من الدخول في حرم جميل الاعتقاد فيهم نعوذ بالله من الحرمان ومن خيبة الظن في التعلق باذيال ذوي العرفان ومن طالع كتب القوم وكتب غيرهم ممن لهم فيهم اعتقاد يرى ويسمع منهم من لطائف المكالمة ما تقر به العيون ويتم بها السر المصون على ان منها ما هو مختلق تظهر عليه امارات الانتحال ولا يقبل بحال لقرائن محتفة بذلك كما وقع للعارف الكبير مولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه فقد سمع وجبة في الفضاء فرفع راسه فرءا في الهواء امراة في ابهج الحلى وهاتف يخاطبه ويقول يا عبد القادر قد ابحنا لك الفواحش فقال مجيبا له اخسا يالعين ان الله لا يامر بالفحشاء فغابت عنه تلك الصورة الخلابة

---

[١] جميل هاكذا في الاصل ولا ادري لعل اصلها (جمال) مصححه

ولم ينخدع بذلك الخطاب الذي تحقق به ببرهان العلم الحقاني فلا يعد مثل هذا من المكالمة في شيء لكون هذا ونحوه مما لا يغتر به وعلامة الاختلاف على الحق فيه ظاهرة ومن هذا القبيل ما ينسب لسيدنا الشيخ التجاني رضي الله عنه من المكالمات والمناجاة ولغيره من اهل الله مما تعرضنا له في كتابنا جناية المنتسب بما نسبه للشيخ بالكذب فلندعه وراء ما هناك منبوذا بالعراء وندعو الله ان يثبت قدمنا في محبة اهل الله فنكون من حزبهم في كمال اهتداء ولما كان اصحاب المكالمة غير معصومين من الخطا سد جل جلة علماء الظاهر باب ادعائها ورد ما ورد عن المخبرين بمايخالف الشرع منها فعلماء الظاهر في ذلك معذورون في ظاهر نصوص الشريعة ولا نراهم ان كانوا مخلصين في الانكار وهم اهل علم صحيح الا معذورين عند اهل الحق واهل الحقيقة الذين هم اهله على الحقيقة اما عند الله فامر لا نطرق بابه وما اظنه يدع احبابه لمن ءاذاهم في انفسهم واعتقادهم وفي اتباعهم ومحبيهم ولذلك قلوا

ان السلامة من سلمى وجارتها ... ان لا تحوم على حال بواديها

. والله يقول من ءاذى لي وليا فقد ءاذنته بالحرب فليخشى الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم

تنبيه جليل لكل نبيه نبيل

اعلم ان المقصود مما بسطناه في هذه التمهيدات مما قررناه او نقلناه هو كالمقدمة لما سنجول في ميدانه مما نشره في منهاجه سيادة المجيب ولقد ذكر فيه من المباحث نحو الخمسين مبحثا حسبما قاله في طالعته فتتبعت تلك المباحث فاذا هي اوهام اثارها النظر الى الشيخ التجاني رضي الله عنه والى اهل طريقه بعين ملئت بغضا

وللبغض عين لا تزال عبوسة ... وعين الرضى مكحولة بالتبسم

وساقض على المسامع مما ذكره ما لم يلي جهدا فيه من التمويه به على ضعفة العقول وظن ان قوله مسموع مقبول مع ان ما اطال به مجرد تسويد بياض بمداد ما عليه تعويل ولا اعتماد وقد حصرت مباحثه التي ضمنها جوابه تصريحا وتلويحا في مقالات تضمنت من قوله وتقولاته ما لا كلفة في رده باختصار ما اطال به ولم ادع

بحثاً رايته او سمعته الا وبهت عليه خصوصاً ما افرغه في قالب التهكم والاستهزاء باستلفات الانظار اليه منه في الطعن في الشيخ التجاني وطريقته ومريديه المتقلدين بقلادتها ومحبيهم والكتب المؤلفة فيها مما يتيقن به مطالع ذلك ان هذا المجيب غير مصيب في نظريته بتحامله في هذا الموضوع على قوم سلكوا على الصراط المستقيم وهو يرميهم من خلف وامام بحجارة انكاره بما لم يوافقه عليه الا جاهل بهذه الطريقة او ناظر اليها بعين تنظر لغير الحقيقة او صاحب غرض من حسود او بغيض جحود ممن لا يرضيه الا سماع البذاء والنطق به او لا يهتم بهتك الاعراض لاغراض تعلقت بقلبه ويزداد حنقاً وغيظاً وغضباً كلما كشف له الحجاب عن عين الصواب من كان اصغر منه في نظره في الفهم او اكبر منه في العلم فيرى الحق باطلاً والعالم بالحق جاهلاً وهو على كل حال غير راض بما به عليه الحق قاض

ولا سبيل الى ارضاء ذي غضب   من غير ذنب ولا يدري له سبب

وقد جاءت هذه المقالات لبيان الحق وتبيينه من غير تعصب في ذلك والله عليم بذات الصدور

المقالة الاولى في الكلام معه في خطبة جوابه

وما انطوت عليه من تعقبه للسؤال بملاحظاته

لقد حكى مؤلف هذا المنهج الذي نعبر عنه بالمجيب في خطبة جوابه اموراً اولها ان حضرة شيخ تكية القلشني بمصر الاستاذ السيد محمد الاعتابي التجاني المغربي نزيل مصر الان قدم له سؤالاً كما قدمه الى غيره من علماء الازهر الشريف واجابه عنه بما فيه كفاية ثم حدث ما يدعو لبسط الجواب فبسطه في نحو الخمسين مبحثاً وبعد ما ذكر نص السؤال عقبه بالتردد في واضعه هل هو الاعتابي المذكور او غيره ثم ذكر في حقه ما هو صريح بسوء الظن في تقديمه هذا السؤال لمن قدمه اليهم وان العلماء المرفوع اليهم ذلك السؤال اسندوا له النظر فيه والجواب عنه لكونه في نظرهم هو المصدر لمثل ذلك وهنا مادح نفسه بقرلك السلام فاطلق لسانه

اولا في السائل بما اتهمه به اثناء ما جرى من البحث معه فيه مع ان السائل اخبره
بانه قد ورد عليه هذا السؤال من بعض اخوانه التجانية فاساء سيادة المجيب ظنه فيه
وقد قيل

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

كما اطلق لسانه ثانيا بان السائل من الجازمين بالحكم الذي سال عنه من كون
الفاتح لما اغلق من كلام الله القديم وانها افضل من سائر الصلوات سرا وجهرا وانه
لا تردد لهذا السائل فيما نقله من جواهر المعاني والبغية وطرق هذا المجيب باب
التهمة باختصار ابن السايح بما تعقبه بما اشار اليه من كلام اليواقيت والجواهر
وذلك منه زيادة في الطين بلة وسنبين بحول الله قصده بما سينقله في هذا الموضوع
جملة جملة ثم كركرة شعواء على الشيخ النظيفي في قوله وتصلي على حبيبك بما ظهر
له فيه من الغموض في عد مثل هذه الصيغة صلاة عليه صلى الله عليه وسلم وما في
تعليق شرحه عليها من الركاكة وضعف التاليف ولعمري ان هذا فيه من التحامل
على ذلك السيد النظيفي بما يوجه اليه الملامة فيه كل منصف يعرف ما في الكلام
يسمى ركاكة وتنافر او تعقيدا ولم يبين وجه الركاكة في ذلك مع كونه في غاية
الوضوح واي غموض في تلك الصيغة مع اشتمالها على قوله وتصلي على حبيبك او
ليس صريح قوله تصلي من صيغ اداء الصلاة المطلوبة من العبد على الحبيب طبيب
القلوب وشفائها عليه السلام وما ارضى لسيادة المجيب هذه البلادة التي جال بها في
مضمار لسان التخاطب بغموض هذه الصيغة عليه مع انه من علماء الازهر الذي
يفتخر المنتسب للتخرج منه على غيره وان لم يفتخر باسناد الجواب منهم له على
هذا السؤال ثم زاد في الطنبور نغمة بما ظهر له في ظاهر قوله لينال ثواب كلام الله
القديم من المنافاة لما نقوله عن الشيخ التجاني من ان تلاوة صلاة الفاتح لما اغلق تعدل
تلاوة القرءان ستة او سبعة ءالاف مرة وان هذا الفضل الخاص بها تلقاه الشيخ
التجاني عن الحضرة الشريفة كما قاله السيد العربي وغيره وان اجابوا عنه وسياتي
ما فيه فانظر الى ءاخر ما قاله هذا المجيب هنا مع عدم فهمه لكلام الناس وتسارعه

بالحكم بالمنافاة في تلاوة صلاة الفاتح لما اغلق بنية كونها من كلام الله القديم ليثاب التالي بثواب كلام الله ولو امعن النظر فيما هو ظاهر من ذلك للغير من غير امعان لما وسعه الا الاعتذار لمن كلفوه بالجواب عن هذا السؤال بكونه لا اطلاع له على تقييد المطلق واطلاق المقيد من الكلام خصوصا فيما هو مشهور من كلام شخص او تاليف اشتمل على نص طبق ما قالوه من الكتاب المؤلف في موضوع يقيد بعضه بعضا ولقد تسارع في التنكيت على تلك النية التي استهونها ولم يدر ما وراءها من تحصيل الثواب بالنية مثل ذاكر الهيللة بانها من القرءان فانه يحصل له ثوابها مع ثواب كونها من القرءان فمن لم ينوي انها من القرءان لم يحصل الا على فضلها وكثير من الاعمال ترتقي فوق الفضل الوارد فيها بالنية كما يعلم ذلك اصغر المريدين المتقلدين بقلادة عهد الشيوخ بالنية ولو استطلع هذا المجيب على ما حجب عنه قبل الحكم بالمنافاة التي اشار لها لتحقق لديه انه في واد ومقصود التجاني في واد وكاني به قد اطلع على ما اجاب الاخوان به فيما اشار له بانه سياتي له ما فيه وهناك سنزيد ايضاحا في رفع الستار عن وجه الحق الذي لم يحقق به اما هنا فنقول ان الفضل الخاص بالفاتح الذي تلقاه الشيخ رضي الله عنه عن الحضرة المحمدية لم تكن قابلية في قبوله لدى هذا المجيب وقد افضت جراءته به الى تكذيب الشيخ فيما اخبر به من تلقي ذلك عن الحضرة المحمدية وليت شعري من اين صح لديه افتراء الشيخ على النبيء صلى الله عليه وسلم والشيخ التجاني من العلم بمكان مكين في حق من كذب متعمدا على النبيء صلى الله عليه وسلم وفي حق من اخبر بما لم ير فالمكذب حينئذ لما رءاه الشيخ او سمعه مكذب للنبيء صلى الله عليه وسلم لا للشيخ على ان الثواب الموعود به في مطلق الصلاة على النبيء صلى الله عليه وسلم عند العارف بقدرها من كونها مقبولة قطعا ولو لحن فيها ذاكرها او صحف فيها وحرف اكثر ثوابا بما لا يحصى عددا من ثواب تلاوة التالي للقرءان بالحالة التي وصفه الشيخ بها وهي المذكورة في جواهر المعاني وغيره وبصفة اخرى من كونه داخلا في دائرة قول انس رضي الله عنه رب قاري القرءان

والقرءان يلعنه حيث انه لم يعمل به او كان لا يحسن الترتيل والتجويد

والاخذ بالجويد حتم لازم من لم يجيود القرءان ءاثم

وسياتي لنا بحول الله ان مثل هذا التالي بصيغة الصلاة المذكورة هو الذي يحصل في تلاوته على الثواب المشار له من فضلها ويزداد ثوابه بنية تلاوة الفاتح في كونها من كلام الله بما لا منافاة بين التلاوتين بالقصد الذي عمل به في عبادتهم اهل الله اما غيره ممن يحسن تلاوة القرءان ويعمل بما اشتمل عليه القرءان من امتثال اوامره واجتناب مناهيه والتحلي به طبق المامور به فتلاوته افضل من تلاوة غيره بما ورد تعيينه من الشارع والله يضاعف لمن يشاء بتحصيله ايضا على ثواب هذه الصلاة ان توفر لديه شرطها ثم ان هذا المنتقد لم يقف عند الحد في الطعن فيما تلقاه الشيخ بذكر ذلك في معرض المنافاة بل تعدى الحد الى اتهام ابي المواهب سيدي العربي بن السايح بالاختزال لعبارة اليواقيت والجواهر وفي ذلك رميه لسيدي العربي المذكور بعدم الامانة في النقل ثم التفت الى ما تخيله ضمن قول السائل في سؤاله عملا بمقتضى واجبكم الديني ان تطالعوا كتب القوم فقال عليه يعني كما طالعها حضرته ورءاها شاهدة لما يدعيه من ان صلاة الفاتح لما اغلق من كلام الله القديم قال وسرد يعني السائل منها في السؤال ما يدل على زعمه على انه لا يصح مع هذه النصوص ان يقال انها ليست من كلام الله القديم فهذا المجيب هنا عفى الله عنا وعنه يتقول على السائل ما لم يقصده في طلبه من المجيب من مطالعة كتب القوم لانه لم يطلب منه تاييد القول بكون صلاة الفاتح لما اغلق من كلام الله القديم حتى ينسب له القول بذلك على ما ظهر له من الزعم المنوط به في ذكره للنصوص التي نقلها السائل وهي قاضية بكونها من كلام الله وكل من سمع باذنيه قول السائل هنا لا يرتاب في كونه يطلب من المجيب ان يطالع كتب القوم من غير كتب التجانيين ليخبره هل فيها ما يدل على كون الفاتح لما اغلق من الكلام القديم وان ما سرده من النقول عن التجانيين لم يستدل به على مخالفة من يقول بعدم كلاميتها اما تعبير السائل بالنصوص بدل النقول فليس فيه ما يشعر منه ما استشعره

هذا المجيب بانه جعلها دليلا على ما استفهم عنه حيث ان مراد السائل بالنصوص
نفس النقول المذكورة وليس في اطلاق النصوص على ما نقله من كلام الشيخ التجاني
وغيره من باس لان ما يذكر للاستدلال يقال فيه نص ونقل بمعنى منصوص ومنقول
وان لم يكن من نص الكتاب والسنة في شيء فلا معنى لما هول به هذا المجيب هنا
اما ما علقه على قول السائل وتجيبوا على ذلك بجواب مستند على ادلة اصولية منقولة
فقد سلك فيه مسلك التعسف في ادعاء كون السائل هنا كمدع اقام دليلا على كلامية
الفاتح بما نقله مع ادعائه ايضا كون السائل نزل المسئول كسائل ثم تكلم سيادة
المجيب بكلام اثر هذه الجمل بما اظن انه لا يفهمه غيره لكونه بلسان لم يعرب
عما في ضميره مع ان السائل هنا كاد ان يكون كلامه صريحا في كونه لا يعتمد
على ما نقله في كون الفاتح من الكلام القديم وانما يعتمد على ما يستخلصه المجيب
في ذلك بجواب مستند على ادلة اصولية منقولة يعني من غير كتب الطريقة
التجانية كما نص عليه في ءاخر سؤاله اما ما بناه هذا المجيب على ما قرره من ادعاء
السائل عنده وهو لم يدع شيئا من ذلك وحينئذ اما ان يثبت يعني السائل ما ادعاه
او يرجع الى ما اشتهر من نسبة صلاة الفاتح الى القطب البكري وانها من
كلامه رضي الله عنه سواء كان بالهام الاهي او تاليف بشري وليست من كلام الله
القديم فهو متضعضع الاركان اما الشق الثاني فان السائل لا ينكر كون الفاتح صاحبها
القطب البكري وانما يسال عن كون النصوص التي نقلها تدل على انها من كلام الله
وهناك ما يدل على انها ليست من كلامه والمجيب هنا يؤكد على انها من كلام البكري
سواء كان ذلك بالهام او غيره وكانه يجنح الى تكذيب نزولها مكتوبة بقلم القدرة
وانما الهمها فهي من تاليف البشر طبق ما اشتهر وهذا من المجيب مما يؤكد
تكذيبه لكونها خرجت من حضرة الغيب وسيصرح بما يتبين مطالع كلامه بانه
يتسارع لتكذيب ذلك من غير استدلال منه على ما يزعمه ويناضل به سائله كانه
خصمه الملد واما الشق الاول الذي يطلب منه اثبات ما ادعاه يعني اثبات كون
الفاتح من الكلام القديم الذي يزعم السائل عنده انه منه ويحاجج عنه بتلك

النصوص فنقول عليه مثل ما قلناه اولا من ان السائل لا يلوح على جبين سؤاله كونه امتحانا للمسئول او يناضل في ذلك على اثبات اعتقاده وهو بريء من هذا كله لمن نظر السؤال بعين الانصاف وطالعه بتامل في وضعه وتمهل في فهمه طبق ما اقترحه هذا المجيب خلل خطبة جوابه اما طلبه مطالعة جميع مباحثه كذلك ليعلم ان كل مبحث منها له دخل في تحقيق جوابه او تقرير سؤاله وان يخلى على حمية التعصب فلقد وقفنا على قدم الانصاف في هذا المقام فشاهدنا ما شاهدناه خلل كل مبحث من مباحث جوابه مما تبين لنا خطاه من صوابه فاذا به يترامى على اطراف الكلام ويتسل من التعصب لما انتحله من البدء للتمام وقد قضى الحق ان ننتصر للحق وحكمنا على ما اجاب بالرد بحكم الفيصل العليم طبق اقتراحه وحمدنا الحق تعالى ان هدانا الى الصراط المستقيم ثم اقام هذا المجيب ضجة في سوق رواج بضاعته من ان مثل هذا السؤال الذي رفعه السائل لعلماء الازهر وفق الله جمعهم ليس من الاسئلة التي يقصد بها بيان الحق لاتباعه بل هو سؤال استظهار يطلب به السائل تعضيد رايه انتصارا لمعتقده وترويجا لنزعته وقد جرى في هذا سيادة المجيب على نما لم يجر عليه السائل وعلى فرض انه يعلم منه اعتقاده فان السؤال لم يظهر منه هذه النزعة فالمجيب بسيء الظن بالسائل ولذلك يظهر على فلتات لسانه ما يقضي بانه حنق عليه يرميه بحجارة الانكار عليه من خلف وامام ومن كان بهذه المثابة فانه لا يتصور للجواب لانه لا يرى دائما الا صورة اعتقاده المشوهة فتنقلب الحقائق عنده ولا يستفيد منه الناس ما ينفعهم وانما يتعلمون منهم ما يضرهم ولا ينفعهم فيتعين على مطالع ما هنا وما هناك ان ينظر ببصر البصيرة وجه الصواب ويسئل من الحق ان يريه الحق حقا فيتبعه والباطل باطلا فيجتنبه فبيده التوفيق ثم ان سيادة المجيب قد اخذته الانفة في فخفختها فذكر ان الشيخ محمد الحافظ التجاني احد شيوخ التجانية الان بمصر طلب منه هذا الجواب فوعده بارساله اليه بعد اعادة النظر فازدادنا يقينا بما للشيخ محمد الحافظ المذكور من الفضل وجمال الفضيلة المتجددة فيه بتواضع منه ولين جانب وما احسن اللين من ذوي الجاه من غير حمية

جاهلية فطلب من المجيب ما طلبه لينظر فيه على عادته بعين الانصاف هل ماحرره
المجيب في جوابه سلك فيه مسلك المشفقين المنصفين او جرى فيه مجرى اصحاب
الاغراض الموجبة عليهم تبعا لحظوظهم النفسانية الاعراض عن الحق المبين وقد
اعترف هنا هذا المجيب بانه لم يرسل اليه ما طلبه مسوفا له في ارساله اليه الا بعد
اعادة نظر فيه وكانه فيما حرره كان على غير يقين وخشي من اصحاب العلم
الصحيح كالشيخ الحافظ المذكور من تبصيره بالخطا الذي خطا فيه بخطى واسعة
في غير صواب وما زال في تردد من امره حتى رما في مجلة الفتح فتاوي تناسب
موضوع مقاله وان الشياطين ليوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقد
اراد الله بهم الحرمان ولو شاء ربك ما فعلوه واقد افتروا على الله الكذب فيما لطخوا
به بياض الاوراق وما كانت ترهاتهم من قبيل ما ينفق الا على وجه النفاق بما
اشتروه من شقاء وشقاق فنفث في روع المجيب ما رماه من تلك المنشورات ماجراه
على نشر اعتقاده وان تنصل من التعرض لتلك الفتاوي باثبات او نفي ولا لما نشرته
تلك الجريدة حسبما قرره هنا والجرائد معلوم ما تنشره وان تفاوتت في التبليغ في
حق وباطل ولا كهذه الجريدة التي هتكت اعراض برءاء وتاهت في بيدا تخبط خبط
عشواء وتحاشي غيرها مما ابدته من عوراء ولم نتعرض لها الا من حيثية كونها
تسلطت على هذه الطريقة ظلما وعدوانا وقد تحققنا بان سيادة المجيب ممن يعتمد على
الاخبار الرائجة في الجرائد مع كون كتب الفتاوي مشترط فيها ما هو مقرر في الكتب
الفقهية المعتمدة وجدير له في موضوعه ان يعتمدها ويغتني بنصوصها ويباهي بفصوصها
فهو مكثر لسواد من يتنزل عليهم قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث
ليضل عن سبيل الله وجميع ما قالوه احصاه الله ونسوه ثم ان كلامنا مع هذا المجيب
الذي فتح باب التهور بالاشارة الى ما في هذه الجريدة ونحن لا اطلاع لنا على مانشرته
ولا كلام لنا مع تلك الجريدة ولا مع غيرها الا من حيثية كونها هذه الطريقة التي لازالت
ولن تزال بحول الله على صراط مستقيم من غير التفات الى اصحاب الفهم السقيم وقد قيل

كم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

وبعد ما استشعر سيادة المجيب لحوق العار به فيما لطخ به جدران الطريقة التجانية مما نقله ونقل اليه وقاله وتقوله فيها استدرك ذلك بقوله ونحن وان كنا لا نتعرض لهذه الفتاوي يعني التي نشرتها تلك الجريدة باثبات او نفي ولا لما نشرته من المقالات ضد هذه الطريقة ولكن نقول اذا صح ما يعزى الى الطريقة التجانية الحاضرة او غيرها من سائر الطرق الموجودة بالديار المصرية وغيرها وكان مخالفا للشريعة الاسلامية فما احتمل منها التاويل يصرف عن ظاهره اذا صح حال قائله وصدر منه حال غيبته كما سيأتي في شطح الحلاج وشيعته مع اعتقادنا ان لاهل الطريقة مزية عن غيرهم وانهم في اعمالهم واقوالهم وعقائدهم بمعزل بعيد عن الظواهر المخالفة للشرع الى ءاخر ما ذكره هذا المجيب وكانه متخوف من قيام اهل الطرق عليه الذين عرض بهم في مصره فصار يمدحهم ويثني عليهم حتى لا يقابلونه بما يستحق من تجهيله واظهار اعوار فهمه مع تقليده لغيره وكان في غنى عن هذا كله لو اشتغل بما يعنيه ولم يتعرض لما لا يعنيه شيئا مما اكسبه من الاثم مع المفكرين امثاله ايحسبونه هينا وهو عند الله عظيم

لاحقه يتعين ان تكون سابقه

اعلم ايها المطالع لهذه المقالات وما قبلها وما بعدها مما يتعرض له كل منتقد ان الطريقة التجانية بمعزل عن كل ما تقوله عليها المتقولون لكونها مجرد ورد ووظيفة وذكر جمعة كما هو مقرر فيها وما زاد على ذلك فهو فضل او فضول لا يتوقف مريدها على اعتقاد ما ليس بادنى مخالفة للشريعة المطهرة لا عملا ولا اعتقادا وجميع ما يخالفها تبرا منه الشيخ واتباعه المحققون وقد قال الشيخ رضي الله عنه اذا بلغكم عني شيء فزنوه بميزان الشرع فما وافقه فخذوه وما خالفه فاتركوه حين ساله بعض احبابه ايكذب عليك فاعلمهم بانه يكذب عليه وانه تبرا مما يتقول عليه كما تبرا الايمة الاربعة بمثل قولته مما ينسبه اليهم جهال مذهبهم والمعرضون عن مشربهم وقد يكون في هذه الطريقة شيء مما هي غير معصومة منه بسبب الدخلاء فيها واتساع مجالها فتعين التثبت في ما يراه من له مسكة من العلم وفيما يسمعه من

اهلها وغيرهم ويقف قليلا عن مطالعة كتاب الف فيها فينظر لاوله وءاخره وما تقضي به قرائن الاحوال من قوم يقول كل واحد منهم ربي الله لا اله الا هو محمد رسول الله ويباعد نفسه عن كل ما لا يليق بالمسلم المومن الحقاني وهم بالحق عاملون وعلى الحق معتمدون لا يضرهم من خالفهم حتى ياتي امر الله وقد اعترف هذا المجيب بنحو هذا فيما اقر به سواء كان ذلك منه عن جد او عن هزل ثم ان الثناء الصادر منه وان كان في معرض التفصيل في حال الطرقين وفي طالعتهم الشيخ رضي الله عنه من كون ما شاع مما يخالف الشرع لم يثبت في حقه واما اذا صح ذلك عنه مما يخالف الكتاب والسنة فهو عند المجيب مردود ونحن نوافقه على ذلك الا اننا لا نقول بمخالفة الشيخ رضي الله عنه في شيء مشروع وما كان مما هو مكتوب في كتب طريقته او منقول عنه بواسطة احبابه واصحابه واخوانه مما يشعر منه بتصريح او تلويح فان طريقته شيء وهذا شيء فالمنتقد يحتاج حينئذ الى التفرقة بين الامرين ثم ينظر فيما يخالف الكتاب والسنة بنظر ناقد البصيرة مع علم واسع يسوغ به لهذا المنتقد ان يخوض مع اهل كل مذهب بما اعتمدوه او اجتنبوه مع معرفته بما يصح دليلا بين القوم مع اطلاع على اصطلاح كل علم يتوقف عليه النظر في وزن المشروعات بالموازين التي لا يرتاب احد ان سيادة المجيب بين تحصيله عليها ليمكنه الحكم على هذه الطريقة وغيرها ما بين الضب والنون وما ابعده لو انصف من هذا المقام فكان من حقه عدم خوضه في هذا البحر العميق الحائل بينه وبين هذه الطريق ولقد حمله بطره بما حصله من الرسوم على ان قال فلهذا وذاك رايت ان احرر الجواب المذكور عن سؤال الصلاة الفتحية الى ءاخره فقد كان ذكر ان علماء الازهر هم الذين اسندوا له الجواب وهنا يرى تحرير جوابه من اجل ما قدمه وجوابه منوط بالصلاة الفتحية ولا ادري من اين اتى بهذه النسبة لصلاة الفاتح وقد ظهر له تقديم نبذة مما هو ماثور على الشيخ التجاني واصحابه كما هو مذكور في كتبهم مع ضمه لذلك من كلام القوم ما يستدعيه تحرير البيان في هذا الموضوع اما تعرض هذا المجيب للنبذة التي ذكرها

فقد تطوع بزيادتها على ما اشتمل عليه السؤال وهو من فضوله واشتغاله بتتبع عورات في نظره وما هي بعورات مع ان مثله لا ينبغي له الخوض في كلام القوم لانه ليس منهم في شيء وان زعم ان له السند في الطريقة الشرقاوية بما سيذكره من ذلك اثناء جوابه بما يتبجح به من لحوقه بالامام البكري على تقدير ربطه بحبله فالمدار على العمل بمقتضى الرابطة وقد علم من احوال اهل الله انهم فيما بينهم على قلب رجل واحد كل من ترامى على واحد منهم كانوا عليه لبدا واخرجوه من حضرتهم مطرودا وهذا امر بينهم لا زال ولن يزال مطردا فلينظر هذا المجيب الى ما حصل عليه وما جلبه على نفسه وكان معذورا لا معذولا وقد تداخل في الفضول بنفسه مطلقا عليه في حسه وارجو من الله ان يمن عليه بالرجوع لرشده اذا طالع ما حررناه في هذا فقد رايناه بحيل المطالع على الحكم بما يراه وبالاخص فيما نقله من كلام الشيخ واتباعه وما ظنه لذلك من كلام القوم فانه ذكر انه ما فعل ذلك الا ليطلع عليه الناظر بدون تعرض للاجابة عن تفاصيل النبوة التي ذكرها كلمة كلمة وسنلقي عليه سؤالا تنبيلا عندما يذكر شيئا من ذلك ولعله يلقي الحمل على عاتقه بالتوبة النصوح وما اظنه يتائب فان المعتزلة يقولون لاهل السنة توبوا وما هم بتائبين ولله في خلقه شؤون

المقالة الثانية في الكلام معه

في ذكر ترجمة التعريف بالشيخ التجاني وطريقته

فاعلم ان هذا المجيب قد جلب ما يناسب موضوع جوابه من ترجمة سيدنا الشيخ التجاني رضي الله عنه ومقصوده مما ذكر استلفات انظار امثاله الى ما يعده غيره من الحسنات ويعده هو من قبيل السيئات وقد القى على كاهله مسؤولية سوء الظن بالشيخ مع الاساءة لمريديه واحبابه وقد اشار الى ما في طي ما نقله لمباحث لا جدوى تحتها وانما هي جعجعة ادار رحاها ليسمع الناس صوتها ولا يرون طحنا ونحن نتتبع قوله المنوط بذلك ونذكرها على سبيل الاجمال جملا بتفصيل غير مخل

بالمقصود ولا معمل عند التعرض لبحثه المردود ليظهر في معاليه وان رام طمسه في مخال مخالبه ويحق الله الحق ويبطل الباطل ان الباطل كان زهوقا وكاني بمن اطلع على ما ذكره من تعريفه بالشيخ يرى خلل ما نقله ما يشير اليه بطرف خفي من الانتقاد على الشيخ وعلى من ترجموا له بحسن ظنهم فذكر ان الشيخ قد ازداد عام ١١٥٠ وتوفي ١٢٣٠ وحكى غالب احوال الشيخ في مدة عمره فكان من جملة ما لوح اليه من تكتيتاته امورا اولها ان الشيخ التجاني اخذ طرقا عديدة عن شيوخ ثم نبذها مقتصرا على طريقته التجانية المسماة بالاحمدية والمحمدية والابراهيمية بامر من النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما وليس لغير النبي صلى الله عليه وسلم فيه تصرف وهذا الذي ذكره هنا هذا المجيب لم يذكره على وجه التنويه بقدر الشيخ رضي الله عنه بل يلوح على وجه سطوره كدورة سوء ظنه وكانه يستكف من اخذ الشيخ عن شيوخ متعددين مع ان الشيخ رضي الله عنه يشترط في ترك تلقين طريقته لمن عنده طريقة اخرى فكان من الواجب على الشيخ ان يقتصر في اخذه لطريقة واحدة ويستكف من تسمية الطريقة التجانية بالاحمدية والمحمدية والابراهيمية ولو كان سليم صدر لم يستكف من ذلك فان تسميتها احمدية فلنسبتها لمن ظهرت عليه وهو شيخ الطريقة ابو العباس احمد التجاني وهناك وجوه اخر ذكر بعضها صاحب البغية واستغنيا عن ذكرها بالاشارة اليها مع هذه النسبة لمن تلقاها عن الرسول صلى الله عليه وسلم ويظهر في تسميتها بالاحمدية ايضا لكون الشيخ رضي الله عنه تلقاها عن النبي صلى الله عليه وسلم من سر حضرته الاحمدية لانه عليه السلام يسمى باحمد فنسبت اليه من حيثية اسمه الشريف محمد فهي محمدية حيث تلقاها الشيخ عنه وهو فيها بمنزلة المقدم والنبي صلى الله عليه وسلم هو شيخها الحقيقي فهي محمدية واما تسميتها بالابراهيمية الحنيفية فقد سماها بذلك الشيخ لما توسمه فيها من كونها ذات اذكار واسرار وانوار ومعارف ظاهرية وباطنية مما ترك النبي صلى الله عليه وسلم عليه خواص امته من الحنيفية السمحة التي لا يزيغ عنها الا هالك وقد خاطب الحق هذه الامة في نسبة هذه الديانة

الحنيفية بقوله ملة ابيكم ابراهيم وهذه الطريقة من نفس هذه الملة مع ان الشخص له ان يسمي طريقته بما شاء لا تحجير عليه في ذلك على انه هناك من اسرار تسميتها بذلك ما لم يخطر على بال هذا المجيب في هذه التسمية ومن اراد الاستفادة في ذلك فعليه بالبغية وميزاب الرحمة وغيرهما من كتب الطريقة من غير حقد على اهلها ليرى جمال الوجوه متجلية في مجاليها ويظهر مما ذكره في هذا التعريف انه يستنكف ايضا من كون الشيخ رضي الله عنه تلقى هذه الطريقة عن النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما وهو لا يسلم رؤية النبي يقظة ولا يقول بها وان قال بها غيره والف اهل الحق في ذلك ما لا يسع اهل الانصاف من ذوي العلم الا تسليمه وهب ان المجيب ومعه من امثاله الاف الالوف ممن لا يسلمون رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة فلا يلتفت اليهم من يعتقدون رؤيته في اليقظة وهم الجم الغفير من اهل الفتح الذين راوه وشاهدوه ونقل صحتها عنهم من يعتمد عليه ويعتد به في النقل الذي لا يمكن ان ينكرها اهل العلم واهل العقل فما استنكف منه المجيب يدل على عدم اطلاعه على ما قاله القوم في ذلك وعلى سوء اعتقاده ان اطلع على ذلك فاصر على انكاره فكان ممن جمد على ما لديه وكان حظه من ذلك الحرمان ثم نرجع الى استنكافه من عدم اقتصار الشيخ رضي الله عنه في سلوكه على طريقة واحدة فيكون على راي هذا المجيب ان ما صنعه الشيخ قدس سره لا يجديه في السلوك نفعا ولا يحصل فيه عنده على نتيجة قطعا لما تقرر في الطريقة التجانية ونظمه صاحب المنية من قوله

وكل من اخذ عن شيخ وزار   سواه لم ينفع به ولا المزار

فاحرى من اخذ طريقة ثم انتقل لغيرها فالى اخرى ثم الى اخرى وهكذا فكيف يدعي الشيخ التجاني الفتح مع تقلباته في تنقلاته وعدم وقوفه مع طريقة اخرى وهذا الوجه مفهوم من حال المجيب بالنظر لما ذكره داخل جوابه ومن قرائنه مع انه لا علم له بان الاخذ عن الشيوخ اذا لم يكن مريد تربية لا يضر الاخذ عنهم ولو تعددوا واختلفت مشاربهم فلا عليه في زيارة جميعهم او الاخذ عن

واحد منهم او اكثر وقد ظهر من حال الشيخ رضي الله عنه انه لم يكن مريد تربية حتى يلزمه ما لوح اليه هذا المجيب سيما والشيخ يقول بان الاعراض عن شيوخ الزمان بعدم الاخذ عنهم كالاعراض عن ابناء زمانهم ومطلق كلامه مقيد بما اذا لم ياخذ المعرض طريقة تربية اما اذا كان اخذ على سبيل التبرك من غير تقييد فانه لا يكون معرضا عنهم وبهذا يتضح عدم مؤاخذة الشيخ فيما فعله وان ما فعله هو اللائق به وبامثاله الوجه الثاني مما قصد به الطعن في الشيخ من طرف خفي هو نبذ الشيخ لتلك الطرق والاعراض عنها بالكلية وانه يرى ان لاتصرف لغير النبي صلى الله عليه وسلم فيه مع ان شكر الشيوخ الذين اخذ عنهم متعين عليه وعلى كل من اخذ عنهم فما كان من حقه رفض عهدهم ولا ترك شكرهم فانه بلا شك قد نال التقرب من الحضرة المصطفوية بسببهم جميعا او بسبب واحد منهم فهم وسائط خير له ولغيره وشكر الوسائط واجب فهذا الوجه وان كان يظهر بادي الراي توجيهه فانه لا يقضي بكون الشيخ نقض عهد شيوخه ولا ترك شكرهم وانما اخبر بما انعم الله به عليه من كون فتحه كان على يد سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وانه لم يقع تصرف لواحد منهم فيه مثل ما حصل عليه من الحضرة المحمدية طبق ما يفهم من حاله وان لم يصرح به لسان مقاله ومع ذلك فان نظر الشيخ انفذ من حيثية كونه يرى جميع ما امروه به هو من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهناك امر اخر لا يقبله عقل هذا المجيب ولا عقل امثاله من بعيد وقريب فان الشيخ رضي الله عنه هو الممد لهم في الباطن فما لقنوه من السر فهو بضاعته ردت اليه ولم يكن قوله ليس لاحد منهم فينا تصرف يقاض به عليه انه لم يشكر وسائطهم مع نص الشيخ رضي الله عنه على ما لهم من المزية عليه في اخذه عنهم بالاعتراف الذي لا يجحد وان لم يقيد وغاية ما هناك استعظامه لمنة النبي صلى الله عليه وسلم عليه حتى غلب على غيره وشكر الواسطة الاعظم يدخل تحت دائرته اهلها فلسان حاله يشكرهم ولسان مقاله بالثناء عليهم يذكرهم وليس في ذلك سوء ادب ولا تهاون باداء حق وجب بل الشيخ يرى حرمة الشيوخ

من آكد الحقوق ومن انتهكها فقد انتهك حرمة الحق وقد يكون اطلاع على ان تلك الاسرار التي تلقاها عن هؤلاء الشيوخ لم تكن مناسبة بحال سلوكه فلم تفده شيئا وانما الذي افاده هوما حصل له على يد سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وهذا وان كان هو قليل من الفتوح عليهم في هذه الطريقة ولكن ما زيد الشيوخ على مريديهم ثناء تزداد بالشكر فيها النعماء وقد قيل

اذا افادك انسان بفائدة   من العلوم فلازم شكره ابدا

وقد شهد كثير من العلماء والعارفين باحوال الشيخ رضي الله عنه وبرفعة مقامه بانه اعترف اهل زمانه بما يلزم من حقوق الشيوخ فما حام المجيب حوله في التعريف به جولة هائم في بيداء سوء الظن باهل الله على ان الشيخ رضي الله عنه انما اخبر بما تحقق به في سره من كون الحق سبحانه لم يقض له بتحصيل محصول على يد واحد منهم وانما فتحه ووصوله على يد النبي صلى الله عليه وسلم وليس في هذا سوء ادب ولا اخلال بحق شكر عليه وجب فخروجه من دائرتهم بنبذ طرقهم لم يكن عن سوء قصد منه رضي الله عنه وانما ذلك اعتراف بحق لاهله كما يعلم هذا اهل اليقين ويتلقاه بانصاف اهل العلم الصحيح وذووا الفتح المبين

الامر الثاني تنكيته بما تقرر في الطريقة التجانية من الشرائط في تلقينها لمريديها وتلقيها ممن له التقديم لذلك وذكر المجيب من تلك الشرائط ما ذكره على هذا الترتيب اولا خلو الطالب من اوراد المشايخ اللازمة لطرقهم وانسلاخه عنها بحيث لا يرجع اليها ابدا فهذا المجيب يرى الانسلاخ عن الاوراد اللازمة في الطرق للتقيد بالطريقة التجانية لاغراض نفسانية حيث يرى سوء ظنه في الشيخ انه يريد بذلك قطع نظر مريديه عن غيره ليختص بالنفع الدنيوي منهم فلا يتعلقون بغيره فيكون هو من كل واحد مختصا بخيره وهاكذا يقضي سوء الظن بصاحبه والذي عندنا من هذا الشرط انه لا تلقن الطريقة الا لمن انسلخ من سائر الطرق وليس فيه ما يفهم منه من عدم ذكر اوراد المشايخ رضي الله عنهم وانما الشروط هو ترك التزام ورد من اوراد المشايخ التي يعد ملتزمها بها مريدا لملقنها له من

صاحب اي طريقة وهو معنى الانسلاخ عن الطرق وما كانت هذه الطريقة المحمدية يكفي في السلوك فيها التزام الذكر اللازم فيها من ورد ووظيفة وذكر جمعة لم يقع فيها اشتراط ما يشترطه شيوخ التربية على مريديهم من ادخالهم للخلوات والسلوك بهم مسلك التربية الخاصة وهي مضمونة لمريدي هذه الطريقة بحمد الله ولقد صدق ابو محمد سيد عبده الشجيطي في قوله من رحلة النهاي في مدح الشيخ التجاني فيما تعرض له من تربيته لمريديه وعلو منصبه على تربية غيره من الشيوخ لمريديهم

بلا خلوة ربى وربت الخلـوة   فشتان ما بين المريدين مهلا

ومما يدل على كون اوراد غيره اذا ذكرها المريد من غير التزام في الدخول بذكره في طرق الشيوخ مطلوبة ذكر الاوراد الغير اللازمة في طريقنا التجانية مما هو مذكور في المؤلفات فيها من اوراد الشيوخ مما كان يذكره الشيخ كقراءة دلائل الخيرات وغيره من نحو الحزب السيفي وحزب البحر مما اذن فيه للخاصة من مريديه ومنع منه عموم المريدين خشية التوجه بذلك في قضاء المطالب وطريقنا ليس فيها ما يذكر لذلك على انه من اذكارها للاعتراض ولم يمنع الشيخ المريدين من اذكار الطرق الاخرى الا باذن من النبي صلى الله عليه وسلم مشافهة منه اليه وفيه من جمع الهمة على وجهة واحدة ما يعرف مزيته المفتوح عليهم في سائر الطرق ولا التفات لمن يسيء الظن في مثل هذا الشرط من الشيوخ مما حام حوله المجيب من ذكر ما يشترطه الشيخ على مريديه مثل هذا الشرط ليس فيه الا ما يدل على جهل المجيب بما هو مباح او مطلوب من الشيوخ من تبيين ما يتعين على مريدي السلوك على يدهم ان يعملوا به ويراعوه ليصلوا للمقصود من الدخول في الطريقة من التقرب لحضرة النبي صلى الله عليه وسلم الموصلة لحضرة الحق بين الخلق وبالله التوفيق

الامر الثالث تعرضه لاشتراط عدم زيارة احد الاولياء الاموات والاحياء وهذا من التشكيتات التي لا يوافقه عليها المانعون من الزيارة مطلقا والمانعون لها ايضا من الوجه الذي يراه غلاة الوهابية وما اظن سيادة المجيب منهم فانه لو قال الشيخ رضي الله

لعل البيت هكذا : بلا خلوة ربا وربته خلوة ٭ فشتان ما بين المريدين مهلا . مصححه

عنه بالزيارة للاولياء لقامت قيامة كثير ممن يقولون بمنع الزيارة والشيخ لا يمنع الزيارة من الوجهة الذي يمنعونها لانه يجيزها في حق العارف بها على انه ما منع مطلق مريديه الا بالاذن الخاص من الحضرة المصطوية ونحن مصدقون للشيخ رضي الله عنه فيما اخبر به من المبشرات التي رءاها ولا موجب لتكذيبه فيما رءا لان من اخبر عما رءاه من المرائي فمن سوء الظن تكذيبه من غير دليل مقبول عند العارفين بطريق الوصول اما تعرضه لشرط دوام محبة المريد للشيخ وخلفائه بلا انقطاع فلجهله بما اجمع عليه الشيوخ من كون المريد لا يحصل له نفع شيخه الا اذا انقطع اليه بكليته وختم على قلبه بمحبته لكون الشيخ المفتوح عليه لا يسمح لغير محبه بالامداد الخاص ففي البحر المورود للشعراني اخذ علينا العهد ان لا ناخذ العهد على فقير بالسمع والطاعة لما نامره به من الخير الا ان كنا نعلم منه يقينا انه لا يقدم علينا في المحبة احدا من الخلق مطلقا حتى اهله وولده وراثة نبوية لا استقلالا وانظر تمام هذا العهد فانه مفيد مع طوله ولا شك ان احترام كل ما انتسب الى الشيخ ومحبة خلفائه بلا انقطاع والبعد كل البعد من انتقاص الشيخ بل ومن انتقاص من له تعلق به هو من قبيل صدق الحب فيه وذلك من كمال احترامهم

وان طريق الحق تدعو مريدها   الا ان يسدي في احترام الشيوخ
فان رمت ياهذا الوصول عقيقة   الى الله كن في حبهم ذا رسوخ

ومن نظر من خلف وامام وتتبع ما عليه القوم في طريق سلوكهم وجد جميعهم ماسكين بحبل هذا الشرط وعليه مدار النفع في كل طريق فكيف يلتفت الموفق الى تعرض هذا المجيب لهواه وكفاه باستلفاته للانظار الى مثل هذا ما جلبه لنفسه وما عليها جناه واما ما ذكره من شروط هذه الطريقة من عدم الكلام الا لضرورة فقد حرف النقل باجماله مع ان ترك الكلام الا لضرورة من الامر المحمود ومع هذا فان شرط عدم الكلام في هذه الطريقة انما هو حال ذكر اورادها اللازمة فيها من ورد ووظيفة وذكر جمعة لان الكلام خلل ذلك مما يقطع تتابع الذكر وفصله باجنبي عنه وفيه من التلاهي عنه ولو قل ما يقضي بكون الذاكر متساهلا فيما هو

بصدده مع امور اخرى لا يعرفها مطلق الناس خصوصا اصحاب الرسوم الداخلين في زمرة العموم ومن اعجب ما استلفت اليه هذا المجيب الانظار ما ذكره من شريطة استحضار صورة الشيخ بين يديه من اول الذكر الى آخره والاستمداد منه ان قدر على ذلك واعظم من هذا استحضاره صلى الله عليه وسلم فكان هذا عند المجيب مما لا ينبغي وقد كنت اجتمعت مع بعض الملحدين المتهورين قبل وقوفي على استنكاف هذا المجيب من هذه الشريطة فوجدته حنقا حاملا على من يعمل هذا الاستحضار وقال هذا امر يشبه عبادة اصحاب الاوثان في استحضارهم لمعبوداتهم فلنعرض عما افضى اليه امر هذا الملحد ونكل الجواب عما استلفت اليه هنا هذا المجيب النظر لعي ذلك ليرى ما اداه اليه التعريف بمثل الشيخ على سبيل الاستهزاء والامر لله اولا واخيرا ثم انه لا يجمل بنا ان نترك التنبيه على الخطا الذي حصل من سيادة هذا المجيب في ترجمة التعريف بالشيخ التجاني فانه نقل عن جواهر المعاني وعن الرماح الذين اختصر منهما هذه الترجمة بان الشيخ شريف حسيني بالياء المثناة تحت ونحن وان كنا نعتذر عنه في التحريف الحاصل منه بغلط في النقل بتصحيف مطبعة منهجه والجهله بنسب الشيخ الذي يرجع نسبه الى محمد النفس الزكية لا يعذر في نسبة الولد لغير ابيه فعليه اثم ذلك فقد خاض في نسب لا يعرفه كما لا يعرف موقع ابي سمغون من الصحراء الوهرانية بنسبة ابي سمغون الى صحراء فاس زيادة على ما قال من ان الشيخ رضي الله عنه تلقى الطريقة التجانية عن محمد بن عبد الله الازهري مع ان الشيخ قدس سره تلقاها عن ابي عبد الله سيدي محمد بالفتح ابن عبد الرحمان الازهري فقد صحف وحرف وعرف بما استنكف فلندعه هنا يراجع الجغرافية والتراجم ونرجع للكلام معه في استلفات الانظار الى كون صلاة الفاتح لما اغلق من اورادهم اللازمة المنسوبة للسيد محمد البكري الصديقي رضي الله عنه ونقلها بتصحيف وتحريف ليحرم من ثوابها حيث يقول في نصها « اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما اغلق والخاتم لما اسبق والناصر الحق بالحق الخ فقد عرف الناصر مع ان الناصر المذكور في هذه الياقوتة الفريدة من اوراد التجانيين مجرد من

ال فقد نسب لهم سبعة لا يذكرونها وان تمسك بذكر سبعة اخر فيما يأتي ولكنها ليست من اورادهم كذلك واما استلقائه ايضا للانتظار لما ذكروه لهذه الصلاة من الخصائص مما لا يقدر قدره ولا يبال دركه حتى قالوا نقلا عن شيخهم التجاني ان تلاوتها تعدل تلاوة القرءان بسبعة آلاف مرة وفي رواية بستة آلاف مرة وان البكري لم يذكر لها هذا الفضل وانما ظهر فضلها على يد شيخهم باملاء من النبي صلى الله عليه وسلم وان الذاكر لها لا بد ان يعتقد انها من كلام الله تعالى كما نبه عليه ايضا في كتاب الافادة الاحمدية فان سيادة المجيب لم يال جهدا في اظهار ما يراه من المنكر الذي عنده وعند من يسمع به على اطلاقه ينكر وحق له ان ينكر ان لم يكن مع ما ينويه يذكر ويكفي في ذلك انه مقيد ذلك الفضل في حق من لا يعمل بالقرءان ولا يتلوه على الوجه المشروع فتلاوة هذه الصلاة افضل في حقه وليست الا فضيلة في جوهر اللفظ فان القرءان افضل من كل ذكر ولو كان لفظه الشريف في الاخبار بقصة او حكم من الاحكام فجوهر ذلك اللفظ لا يساويه شيء من الفاظ انواع الكلام وكل ما يطلق عليه كلام ولو نسب للحضرة الالاهية من كتب سماوية واحاديث قدسية وانما الافضلية بين التلاوة من تالي القرءان وصلاة الفاتح ولهذا يزداد اجرا من ينوي انه يتلوها على انها من الكلام القديم ولا نقص في افضلية تلاوة هذه الصلاة يلحق كلام الله فان القرءان بالمنزلة التي لا تلحق ولن تلحق ابد الابدين ومع ذلك فانه يحرم تلاوته على اشخاص وتكره تلاوته في بعض الاماكن وفي بعض العبادات ويكره الاشتغال ببعض العبادات افضل من تلاوته كما هو مقرر في كل مذهب وجرت الفتاوي بافضليتها على افلية تلاوته وسيأتي نقل بعض ذلك في ترجمة الكلام فيها بحول الله فاذا كانت التلاوة يأثم صاحبها فلا جرم اذا نصح العارف بالاشتغال بما لا اثم فيه وبين الافضل في حقه من غير مبالات بمن يسارع للانتقاد غاضا البصر عما يقيد به الكلام من ملحقاته سواء قدمت او اخرت بتصريح او اشارة في المقام او من قرائن احوال المتكلم في الموضوع وحسبنا الله ممن يقصد هضم جانب الحق بنقص او زيادة تخل بالمراد حتى يظهر

بذلك الصلاح في صورة الفساد ثم ان هذا المجيب ما زال يلحق بالشيخ تباعة اخباره بما تلقاه عن النبي صلى الله عليه وسلم وكانه يكذب الشيخ فيما اخبر به عن الحضرة النبوية ويقول بلسان حاله ان ذلك الفضل هو من عندياته ظهر على يده لا على يد صاحبها البكري ولا ان البكري اشترط في فضلها كونها من كلام الله القديم فهو يريد القاء المهدة على الشيخ في ذلك وهذا غايةما يكون من جراءة الاصاغر على الاكابر والتسارع بتكذيبهم اعتمادا على سوء الظن منهم ولو راوا الحق فهم في مكابرته غير مذعنين وقليل من رجع عن خطاه الا من اراد الله به الخير ففقهه في الدين ولا شك عندنا ان المجيب قد طالع جملة من كتب هذه الطريقة ببحث عن العورات حسب زعمه ويكفيه في عدم وقوفه مع الحق ما رواه في الرماح من قول مؤلفها رحمه الله كل من اراد ان يعترض على شيخنا في شيء من هذه الشروط فعليه بالوقوف على ما اودعناه في الفصل الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر من هذا الكتاب المبارك ان شاء الله تعالى فيجد فيها ما يرده انهرد يعني اذا كان منصفامريدا للحق والانتصار له اما اذا كان صاحب اغراض فانه لا يرده الاوازع رباني وعلى كل حال فيكفيهما يقف عليه هناك فليراجعه المنصف حتى لا يغره متعسف فيرى رجحان الحق على الباطل بميزان الشريعة في مظهر الحقيقة

فللحق ميزان يسمى شريعة ... عليها مدار الحق ممن تنشا

وكفتها معلومة بحقيقتها ... بها النقص والرجحان يدريه الفتى

واما تنبيه الافادة الاحمدية على انه لا بد من اعتقاد الذاكر للفاتح لما اغلق من كلام الله القديم فالذي في الافادة من لم يعتقد انها من كلام الله لم يصح له الثواب الوارد فيها فانه لا يصرح بوجوب ذلك الاعتقاد وانما ذلك شرط في نيل فضلها الخاص بها الذي تلقاه الشيخ عن النبي صلى الله عليه وسلم واخبر به فكان هذا الفضل من الحضرة المحمدية عليها بارزا على يد الشيخ رضي الله عنه ولا نقص في ذلك حيث لم يظهر على يد السيد البكري فغير مستبعد ان يدخر لبعض المتاخرين ما لم ينله من قبلهم والفضل بيد الله والله ذو الفضل العظيم

المقالة الثالثة في الكلام معه في ترجمته

لفضائل التجاني وخصائصه

من المعلوم من احوال من طبعه الشارع للانتقاد ان يستبط من كل ما رءاه او سمعه ما يفرغه في قالب التشويه بصورته طبق ما يتخيله في مخيلته فكرته بل يزيد فيه وينقص في التعبير عنه بما اقتضته اغراضه برائد رباني في حق من يريد الحق وينتصر له وبرائد شيطاني في جانب من يقف مع هواه ولا يرده عنه الا انتصار الحق عليه من وجوه لم يوفق لتوجه وجهته اليها ولا بد للحق من انتصار على الباطل ولو طال هضمه ممن يسره هدمه وقليل مّن قليل من يريد الحق مع خصمه ويذعن له لا سيما اذا كان ممن تصدر في المجالس ورءا الناس محتفين به ما بين مرءوس ورئيس ويظن انه شيء وما هو شيء الا انه مجرد انسان لا يعرف بكل معلوماته ما هي نفسه وما هو في حسه ومعناه وهو يدعي من العلم ما يزداد به فخفخة ورفعة نفس وربما باع دينه بفلس فيتخذ من اقران السوء قرينا ولبئس القرين قرين المتعصبين وان الشياطين ليوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا فيغترون بما وقفوا معه ويغرون غيرهم من كلامه ولعمري ان اصحاب الاغراض سواء كانوا طرقيين او غير طرقيين لمتحزبون على من سلكوا مسلك المحققين ولولا ان اصحاب الاغراض يدفعهم هواهم الى الخوض في الباطل وافراغه في قالب الحق لسلم كثير من الناس من الحقد على بعضهم بعضا سيما المسلمون الذين اسلموا اليه وجههم فيما اعتمدوه مذهبا في دينهم اجتهادا او تقليدا وبالاخص اهل العلم منهم فان العلم نور لاهله ما سلكوا طريقة الا واستنارت بهم ما لم يكونوا اصحاب اغراض والا فسلام على العلم لعدم انصاف حامليه خصوصا المتحاملين منهم على اهل الطرق فقسموهم الى حزب الله والى حزب الشيطان في زعمهم فمن كان على ما انتحلوه مذهبا فهو عندهم من الله ومن لم يشرب من شربهم فهو من حزب الشيطان والله من ورائهم محيط ولو ان علماء المسلمين اشتغلوا في هذا العصر الذي

تراكمت ظلماته بعضها فوق بعض بما ينفعهم ولم ينتهكوا حرمة اهل الله ما حاربوا الله بما سلط عليهم من هتك حرمتهم من عوام العموم وصدق عليهم قول الجرجاني

ولو ان اهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما

ولكن اهانوه فهانوا ودنسوا محياه بالاطماع حتى تجهما

فجلهم في هذا العصر اصحاب اغراض تمكنت في قلوبهم بها امراض لا سيما منهم من ينتقد على الصوفية فقد انطفأت انوارهم وانحط عندهم مقدارهم فتعين بيان خطاهم من صوابهم في بعض ما يرون من خطا ولقد سلك المجيب في جوابه هنا مسلكا غريبا في ابداء ما رءاه من فضائل الشيخ التجاني رضي الله عنه وخصائصه من المناكر فاورد طرفا مما جلبه منها من كتب الطريقة المنوه عنها في السؤال حسب زعمه وفهمه الذي اداه لما قال ونقله من اقوال وكانه بركان نار انفجر بالقاء ذلك السؤال عليه فرمى بشر الشرور كانت كامنة فيه فاذاعها من فيه ونعوذ بالله من خبث الطوية وسوء النية فانه قد سئل عن شيء فاتى باشياء وماذا يضره لو اقتصر على ما هو منوط بالسؤال وابان ما ظهر له انه حق فصرح به من غير اعتداء بما زاده اساءة لاهل الحق فكان ذلك منه من قبيل مكر السيء ولا يحيق المكر السيء الا باهله وسترى ما ذكره باعتساف ضمن جوابه الذي لا يقبله منه ذووا الانصاف فلتتبع ما استنكره ولا نقابله في ايضاح الحق بما يكره ان كان من طلابه ونفتح في وجهه الدخول لبيت المعرفة ان رامه من ابوابه فقد نقل في ترجمة الفضائل من كلام الشيخ التجاني قولات تبعا لمن نقلها من احباب او اعداء وكل من بلغته قولة منها وجد جل ما نقله هنا هذا المجيب ناقصا او فيه زيادة او محرفا منه قصدا او من راويه الذي نقله عن الشيخ فنقله عن الشيخ بمعناه ولم يستوف بالتعبير بما لا يخل بجمله الجميلة وقد اتسعت الطريقة وكثر في الدخول فيها الدخلاء وكل يعبر على قدر فهمه والحقيقة في الحقائق لا تستوفي العبارات فيها بالحق على ان هذا كله طبق ما نقول وقلناه وقررناه وكررناه المرة بعد المرة غير مامور باعتقاده واتقاده مريد الطريقة وجل المريدين الذاكرين الله فيها لا يلتفتون لمن ينكر عليهم بمثل الخوض

في هذه القولات لتحققهم بما هم عليه من القيام بشعائر الدين والاشتغال بما يعنيهم بتمسك بحبل متين في ذكر اورادهم التي ظفروا بسرها بتلقيها عمن لديهم الاذن الصحيح في التلقين وقد قلنا ولا زلنا نقول ويقول ذلك معنا سائر من تقلد بعهد هذه الطريقة التجانية بانها ورد ووظيفة وذكر جمعة بعد اشتراط التزام القيام بالصلوات المفروضة على اكمل وجه وما زاد على ذلك فضل او فضول فالفضل لاصحاب الاعتقاد والفضول لاهل الانتقاد وذلك مثل الخوض في هذه القولات ولو في ذكرها على سبيل تبيين المقصود منها والمدافعة عنها الا في حق من يخاف فتنة ضعفاء العقول من جهلة المريدين وغيرهم ولذلك حملتنا الغيرة باذن خاص في نقض ما ابرمه في نقد هذا المجيب لما حرره في جوابه مع عدم تسليمنا لما نسبه للشيخ من جميع هذه القولات وانما نبين ما تحمل عليه ان ثبتت عن الشيخ وان كنا لا ننفي بعضها لشيوع وروده عنه وان اختلفت فيه العبارات والمقبول منه ما سلم مما لم يخالف ميزان الشرع كما نبه على ذلك سيدنا الشيخ بنفسه ويتعين التنبيه هنا قبل اطلاق عنان القلم بما يمليه عليه وحي الظمير هنا على امرهم وهو ان العارفين كما نبهنا عليه اولا انهم رضي الله عنهم من شدة فرحهم بالنعمة ومشاهدة المنعم بها قد لا يرون معهم احدا ظفر بمثلها ولا يخطر ببالهم انه يحصل لغيرهم مثلها ثم يصدر منهم الشطح بالاستغراق فيها ويتكلمون بلسان غير معهود منهم في حال الصحو وربما يزداد الشاطح منهم سكرا على سكر ويتظاهر بانه صاح وما هو بصاح فيشطح في حضرات القدس بالغيبة عن الحس ويشطح في حضرات الاس بسيد الجن والانس عليه السلام بالفناء فيه ويتكلم على لسانه كما يتكلم على لسان الحضرة الاولى من غير شعور منه فاذا رجع لحسه انكر ما صدر منه بنفسه حتى لا يبقى متقيدا بحظ النفس ورعونتها وقد يفوته التنبيه على ذلك ان لم يطلع على ما صدر منه بما يطير به ركبان الحاضرين معه وينقلون عنه ذلك من غير اعلامه بما اخبروا به غيرهم عنه ولا يستبعد مثل هذا من احوال جل العارفين بالله وفي مقدمتهم الشيخ التجاني رضي الله عنه فانه معلوم بهذه الحالة وكثيرا ما تلقى عنه

اصحابه والحاضرون لديه مقالات تعد من الشطح فقد صار يجتمع مع سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وهو معذور في ذلك غير معذول عند العارفين باحوال اهل الله وما ينزل بهم حال التجلي عليهم في مقامات الشهود من حضرة الاحسان وقد حفظ الله الشيخ التجاني من الشطح بالتجلي عليه من حضرة القدس والغيبة في الحق بوجدانه عن وجوده ولم يكن شطحه غالبا الا في الحضرة المحمدية مما طارت به الركبان ولم يشعر بصدوره منه او بلغه ما صدر منه فانكره او امر بكتمه واستحالت الايام بتاول كلامه من شخص الى اشخاص وقد مضى انتشار طريقته في انحاء المعمور ان يكن فيها المحق والدخيل فشاعت عنه من تلك الاقوال التي هي من قبيل الشطح قولات تلقاها اهل التسليم لاهل الله بتاويل وبغير تاويل فزادتهم ايمانا وتسليما ومنهم من قام بالنكير على من صدرت منه والمنكرون كثيرون من جملتهم هذا المجيب الذي جمع في ترجمته لفضائل الشيخ التجاني ثمان عشرة قولة نذكرها ثم نعلق عليها ما تنجلي فيه غمة الافكار عن قلوب المريدين ويتحقق به اهل الانصاف ان المجيب الذي اوردها هنا على خطا عظيم والله عليم بذات الصدور

القولــة الاولى

فيما نقله من قول الشيخ رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليـه وسلم اخبره يقظة بقوله انت من الامنين وكل من احبك من الامنين انت حبيبي وكل من احبك حبيبي وقرائك قرائي وتلاميذك تلاميذي واصحابك اصحابي وكل من اخذ وردك فهو محرر من النار وان من يوذيهم يوذيه عليه الصلاة والسلام ويطرده الله من قربه ويسلبه ما منحه من لطفه فهذا ما نقله هنا المجيب وسيفصح عن مقصوده بنقله من التنكيت على الشيخ في الاخبار بذلك وعلى من نقل ذلك عن الشيخ من تلاميذه واحبابه المعاصرين له والذين جاءوا من بعده وحيث جهدوا في شرحها والتماس حكم واسرار لها وفي تاييدها والنضال دونها والاحتجاج بها نقضها على من ينكرها قال وهذا الشيء غريب لا يحسنه الا اهله ولا حول ولا قوة الا بالله

فقد حوقل هذا على ما ظهر له من هذه القولة ولم يبد فيها نظره حسبما استنكره وحام حوله بالاشارة الى ما تضمنته هذه القولة وامثالها وقد استلفتنا الى ما وراءها مما رماه واشار اليه بطرف خفي من الانتقادات التي لم تساعده عبارته على الافصاح بها وسمعنا من هزيز صدره وزفرات تاسفه ما سنبينه فان كان ما ابداه من ذلك موافقا لما اختلج في صدره فقد اجبنا عنه بما فيه شفاء الغليل وان لم يكن من قصده فنحن نجيب عن تلك الايرادات التي اوردها امثاله من المنتقدين وسمعناها من غيره مرارا وهو من جملة من تتبع ما لم يقبله عقله ولم يحط به علمه ونقله عن غيره وذكر انه في كتب هذه الطريقة التجانية بزعمه وجمعه منها ما حكم به على اهلها بما حكم وما هو بالحكم وقد ذكر انهم اجابوا عنها وناضلوا عنها وياليته لو ذكر تلك الاجوبة وعرضها في سوق النقد على الافكار ويبدي فيها للانظار وجه الانكار وكفانا انه اطلع على الاجوبة عنها واصر على الجحود فتحقق اهل الانصاف بترامية على اطراف الكلام وحرف منه ما حرف وصحف ما صحف ولا نقول انه يهرف بما يعرف كما يرى ذلك منه المطالعون لكلامه الذي برهن على علمه ومقامه ولو انه استقام على الطريقة وبين الاجوبة الذي لم يرتضها من اهلها لتحقق بانه مخطيء ولكنه لم يقرب مسافة البحث فيها بين الكتب المؤلفة فيها بجلبها مع كل قولة تعرض لها هنا وقد حصل في فخه الذي نصبه في الطريق باشارته الى تلك الاجوبة فاشعر من لا علم له بهذه الاقاويل ولا علم له بتلك الاجوبة بانه قد سبقه غيره في الجولان في هذا الميدان وكاني بالمنصفين اطلعوا على مظان ما قاله ونقله وما اشار فاجمله او فصله فصاروا على بصيرة من امره وميزوا لمن اطلعه على ما القمه في جوابه من حجره وجمره وقديما انشدوا في مثله

ما ضر شمس الضحى في الافق طالعة ... ان لم يرى نورها من ليس ذا بصر

وقد اكتفينا اولا بالاشارة الى ان ما تعرض له باعتراضه قد وقع الفراغ من الخوض فيه نقدا وانتقادا من قديم فقام يوقظ الفتنة بعد رقودها ويوقدها بعد تحقق ركودها فليطالع مريدوا الوقوف على ذلك في الجواب المسكت والجيش

والسارية وميزاب الرحمة والرماح والسيوف والعضب اليماني ومبرد الاسنة وغيرها ليرى الحق حقا والباطل باطلا ويكفيه في جزاء انكاره هنا انه وقع في تكذيب الشيخ فيما اخبر به عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وهو وان كان خبرا يحتمل الصدق والكذب فانه لا يسارع بالتكذيب الا المحروم وقد حرم الله هذا المجيب فوقع في محذور عظيم من اذاية الشيخ رضي الله عنه وفيها اذاية الله والرسول والذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة وقد رءا بعينيه وسمع باذنيه وكتب بيديه في حق الشيخ واحبابه من قوله وان من يؤذيهم يؤذيه عليه السلام ويطرده الله عن قربه ويسلبه ما منحه من لطفه فنعوذ بالله من الوقوع في هذا البلاء الذي تصدى له هذا المجيب وهو على يقين من تكذيبه في هذه الفضيلة ولو استفهمناه عن موجب للتكذيب لتعلق بحبال راشية ولا ينفعه في الاعذار ان ذلك اداه اليه اجتهاده وهو نتيجة عله المفضي به الى الوقوع في هذه المهاوي فان ادعى انه على بينة من امره بقرائن احوال حملته على التصريح بما قال حسب فهمه فيقال في حقه

اذا القاك فهمك في مهاوي فليتك ثم ليتك ما فهمت

وليت شعري ما ذا يقول اذا تحقق في حقه وعيد الاذاية وتحقق في حق الشيخ الوعد المنجز مما اخبره به الرسول صلى الله عليه وسلم

اليس من الخسران خيبة ظنه وتحقيق ما حاز التجاني من النبي

وماذا على من صدق الشيخ معرضا بتحسين ظن عن مقال المكذب

ولا شك في انه تعظم مصيبة هذا المكذب في هذا المقام وقد قال صاحب موسى عليه السلام لقومه وقد لاقى منهم ما لاقاه ان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم او ليس السلامة في جانب المصدق ولو نظرنا الى ما اشتملت عليه هذه الفضيلة التي اخبر الشيخ بها عن النبي صلى الله عليه وسلم وحككناها على معيار النقد لم يجد فيها المنصف شيئا يمس بكرامة صاحبها وغاية ما هنالك انه من الامنين وكل من احبه من الامنين وقد خان امانة النقل بسيادة

المجيب هنا ففي جواهر المعاني في اوائل الفصل الثاني من الباب الرابع قال رضي الله عنه اخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما قال لي انت من الامنين وكل من رءاك من الامنين ان مات على الايمان فشرطية الموت على الايمان تدل على ان المراد بالامن في دار الاخرى وليس المراد به الامن الدنيوي الذي يتخوف على صاحبه من انتهاك حرمة الدين بفعل ما لا ينبغي بما يشم منه عدم المبالاة ومن المحفوظ عندنا المنصوب ميزانه بين اعيننا مما يقوله سيدنا التجاني رضي الله عنه للاخوان ان من اخذ وردنا وسمع ما فيه من دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب وانه لا تضره معصيته ان من سمع ذلك وطرح نفسه في معاصي الله عز وجل لاجل ما سمع واتخذ ذلك حبالة الى الامان من عقوبة الله في معاصيه البس الله تعالى قلبه بغضا حتى يسبنا فاذا سبنا اماته الله تعالى كافرا فا حذروا من معاصي الله تعالى ومن عقوبته وكان رضي الله عنه كثيرا ما ينشد لهم

وءامن مكر الله بالله جاهل — وخائف مكر الله بالله عارف

ولا جاهل الا من الله ءامن — ولا عارف الا من الله خائف

ولعل المطلع على ماسلكه المجيب في منهجه يقول ان التخويف من المكر والتامين منه كلاهما في كلام الشيخ فكيف يخبر بالامن ثم يحذر منه وهذا من معنى قول هذا المجيب في ترجمة الداعي لتلخيص هذا التعريف بينما تجد اتباعه ينقلون عنه من الاقاويل والدعاوي ينقلون عنه ضد ذلك فاين المخلص من ذلك نقول هنا ان التبشير بالامن لم يكن من عندياته وانما هو بشارة من الرسول صلى الله عليه وسلم له ولاحبابه فاخبرهم بذلك ليزدادوا اقبالا على محبته بمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك في بساط الرجاء واما تخويفهم من المكر فعملا بمقتضى الخوف المنوط بالمومن ولو وزن خوف المومن ورجاه لاستويا وعلى كل حال فلم يكن الامن المبشر به الشيخ جاريا على الاطلاق بل هو مقيد بالموت على الايمان فالشيخ ومريدوه ومحبوه واصحابه واتباعه لم يخرجوا من دائرة الخوف من الله وان حصلت لهم البشارة بامنهم فما قصده المجيب هنا لم يتم له به المراد من استلفاته

لانظار للانتقاد وما بقي مما اخبر به عن النبي صلى الله عليه وسلم هنا من كون احبابه احبابه وقرائه قراؤه وتلاميذه تلاميذه واصحابه اصحابه وكل من اخذ ورده فهو محرر من النار فهذه من البشائر التي لا موجب لتكذيب المخبر به عن صادق لا يجوز الكذب عليه مع تحقق درجة المخبر بذلك في مكان المعرفة بالله مع ان ءاخذ الورد لا يحصل على مزية الدخول في هذه الطريقة الا بالتزامه بالقيام بشروطها التي اهمها القيام باداء الصلوات المفروضة على الوجه الاكمل وهذا اول الشروط التي لا تصح للمريد الانتساب لهذه الطريقة الا بالقيام به اتم قيام مع الوقوف عند ما حده الشرع لامة الاجابة بقدر الامكان ولا شك ان من عمل على هذا الشرط فهو محرر من النار بمقتضى فاما الذين ءامنوا وعملوا الصالحات فهم في الغرفات ءامنون وهذا كله من الوعد الصادق للمصدق به ولا عبرة بالمخالف لهذا لقيام الحجة عليه عند العارفين وايمة الدين المتمسكين بالسنة والكتاب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

القولــة الثانيــة

قوله الفيوض التي تفيض من ذات سيد الوجود صلى الله عليه وسلم تتلقاها ذوات الانبياء عليهم السلام وكل ما فاض وبرز من ذوات الانبياء تتلقاه ذاتي ومني يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم الى النفخ في الصور فاستعظم المجيب مضمن هذه القولة وكانه يستلفت الانظار الى مضمن قوله ومني يتفرق على جميع الخلائق الداخل تحته الصحابة الكرام وهم افضل اولياء الامة على الاطلاق فانه كما في حديث ان الله فضل اصحابي على سائر العالمين سوى النبيين والمرسلين وحديث لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احد منهم ولا نصيفه وغير ذلك مما يدل على شفوف مراتبهم فكيف يمدهم الشيخ وهم الذين بلغوا ما تحملوه من الدين وهم سادات الشيوخ من سائر الهادين والمهتدين كما نعتقد نحن ذلك وغيرنا من غير اصحاب الاهواء من خوارج وروافض وشيعة ومن شاكلهم فنقول القولة المذكور قد تقات

عن الشيخ في روايات وبمقابلة بعضها ببعض يحمل مطلقها على مقيدها وبجولان الفكر فيما اشتملت عليه مع الاطلاع على مقالات من نوعها صدرت ممن سلمت اقوالهم واحوالهم يحكم بادي الراي العالم المنصف ان ذلك صادر منهم عن استغراق في مقام السكر والتحدث بعظيم النعمة التي سقتهم كاس خمرة التنبيه في بيداء الانفراد في عالم الشهود في الغيبة والغيبة في الشهود فيرى انهم لا منعم عليهم مثلهم حتى يظن الظان انهم في شطح وما هم بشطح لوقوف ذوي الرسوخ منهم موقف الادب مع الحق بالحق بالتحدث بالنعم الا ترى الى قول الشافعي رضي الله عنه

ولولا خشية الرحمن ربي حسبت الناس كلهم عبيد

فهو مع اطلاق الناس بدون تقييد يتحاشى جنابه ان يقصد دخول الصحابة فاحرى الانبياء في عموم كل الناس عبيده على ان مطلق قولة الشيخ رضي الله عنه تحمل على مزية الامداد بعد الاستمداد في حضرة الغيب من بحر سيد الوجود صلى الله عليه وسلم والمزية لا تقتضي التفضيل على انه ليس فيه التصريح بافضليته عليهم وانما صريح عبارته هنا يفصح عن امداد الخلائق بما فاض عليه من ذوات الانبياء الذين فاض عليهم الفيوضات من ذات النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بالذات الحقيقة وهي غيب في غيب وهو امداد واستمداد على خرق العادة لا تكيف ماهيته فلم يبق الا تلقيه بالتسليم من غير بحث على الكيفية والانتقاد على ذلك لصدوره عن اذن في بساط السكر وهو من باب مخاطبة المحبوب في قول العارف

كل من في الانام يهواك لكن انا وحدي في الكون من يهواك

فادعى ان الكون كله مفرغ منه على حد قول المحب النبهاني رحمه الله في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم نورك الكل والورى اجزاء وليس في هذا ومثله من استحالة عند من كانت فيه قابلية لفهم كلام القوم ممن تحمل ءانيتهم ما وضع فيها من اسرار المعرفة بالفهم عن الله فلا يتجاسر على خرق سياج رياض انس انس اهل الله بربهم وبمحبوبهم فهم مع النبي صلى الله عليه وسلم من مجالسيه في هذه الحضرة القدسية تتجلى فيهم ذاته على حسب صفاء مرءاتهم وعلى قدر ما لبعضهم من الاتصال

يقول انا محمد وفي حضرة الشطح بالغيبة عن الكون قد يقول انا الله فما على من لا يعرف لهؤلاء من المقالات في المقامات التي صعدوا فيها الا ان يساعد بنفسه من الوقوع فيما لا تحمد عاقبته وقد علم الحق سبحانه ما عليه اصحاب الاهواء وبالاخص بعض المدعين للعلم ممن ساعدهم الحظ بسماع كلمتهم وتنفيذ الامور عند الامراء حسب اغراضهم فضرب على ايديهم جلت قدرته بعدم الالتفات لما يفتون به في حق بعض من انتسبوا لحضرته والتعلق باعتاب الجناب المحمدي عليه السلام فلم يشف احد غرضه فيهم بالقتل المدعي انه اقامة حد شرعي وما هو الا حظ نفساني فللـه الحمد الذي حفظ اهل التصوف في هذا الزمان منهم بتلك الفتاوي الخلابة والاجوبة الخلابة التي يتسارع فيها المفتونون بعلمهم المفتون بما يطابق هواهم الجاري مجرى فهمهم ولله الامر من قبل ومن بعد فلهذا وذاك يقولون ونقول ولو اتيح الحد لاحد لقدم اهل التكفير للمومنين بحد القذف والتضليل الذي هو غاية السب للمؤمن وسباب المومن فسوق والامر لله كيف شاء فعل ولله الامر من قبل ومن بعد

القولــة الثالثــة

قول الشيخ التجاني رضي الله عنه لا يشرب ولي ولا يسقى الا من بحرنا من نشأة العالم الى النفخ في الصور وكأني بالمجيب ما تقل هذه القولة الا استعظاما لعموم الولي المنفي فليتأن قليلا في تفهمه لمعنى الولي في لسان التخاطب فانه لا يشمل النبي ولا الصحابي وان كان الصحابة هم سادة الاولياء فاحرى علو مرتبة اهل النبوة فلا دخل لهم في الشرب من الشيخ الذي تحدث بالنعمة التي اسداها الحق اليه ولو بواسطة والمراد بذلك كونه واسطة بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم في استمداده لهم عرف ذلك من عرف منه وجهل ذلك من اعرض عنه ولقد اخبر كثير من العارفين ممن راو المدد يأتيهم على يد الشيخ رضي الله عنه بمشاهدة عيانه حدثني العارف بربه سيدي ومولاي احمد العبدلاوي رضي الله عنه انه اجتمع في الحاضرة التونسية بولي من اولياء الله ممن سلكوا على قدم الجد في الطريقة الشاذلية وكان

صاحب كشف فاخبره بانهشاذلي الطريقة وانه يرى المدد الذي ياتيه انما ياتيه على يد الشيخ رضي الله عنه ومن اخبر عما يشاهد فلا خير فيمن له يعاند وهذه القولةمن الشيخ رضي الله عنه مثل التي قبلها فهي من قبيل التحدث بالنعمة قاصدا بذلك تعريف اصحابه بان لا يلتفتوا للاخذ عن غيره لانه يجب جمع قلوبهم على الله بما لقنهم به مما فيه صلاح حالهم ويقربهم من الحضرة المحمدية عليها السلام وللاخبار المستمدين منه في ظهر الغيب من غير شعور منهم ليكافئوه بالدعاء له فيكون لهم بشكر وساطته ما يزدادون به منفعة في الظاهر والباطن ولا شك ان الشيخ طبيب للمريد كطبيب المريض يلقي اليه الدواء المناسب لمرضه فان عمل المريد باشارته نال ما يريد والا فهو على خطر من الاعراض بالكلية عنه وعن غيره من الشيوخ او بمشاركة نظرية غيره فيه او بانتقاله جملة عنه الى غيره ممن يستانف معه عملية السلوك بالتلقين وغيره وقل من نجا من المرض من عمل باشارة طبيبين يعالجانه من غير علم احدهما بمباشرة غيره له وهاكذا الامر في اطباء القلوب ولذلك كان الانفراد بواحد اولى وانفع للمريد وللمريض ومن اجل حرص الشيوخ على نفع مريديهم الزموهم بترك الشوف لغيرهم ويظهرون لهم ما يزدادون به تعلقابحبلهم وتوثيق عرى حبهم مثل ما هنا في هذه القولة التي هي من قول الشيخ لا يشرب ولي ولا يسقى الا من بحرنا بمعنى لا ينال سرا من الاسرار الا بواسطته من البحر الاعظم الذي هو النبى صلى الله عليه وسلم فبحرههو سيد الوجود عليه السلام فكانه يقول لا يسقى ولي من النبي صلى الله عليه وسلم الا على يدنا فاضاف هذا البحر اليه لشدة اتصاله به بما فوض له من الامر في ظهر الغيب في مبشرات كثيرة ليس هذا المحل بمحل بسطها وقد فسر الشيخ رضي الله عنه مراده بالولي في قولة اخرى وهي قوله كما في الافادة كل الشيوخ اخذوا عني من عصر الصحابة الى النفخ في الصور وسياتي الكلام على هذه القولة بما فيه كفاية لطالب الحق مع الاضافة الى الكلام المنوطة بالقولة الاولى وليس في هذا ما يمس بمنصب الانبياء ولا بكرامة الصحابة رضوان الله عليهم لان هذه مزية وهي لا تقضي بتفضيله على هؤلاء السادة

من سائر الوجود اما في النبوة فظاهر لانه يصرح بانه يتلقى منهم الفيض ومنه يفيض بعد ذلك للغير كما انه يعترف للصحابة بما يزيد المطلع على قوله اجلالا لمرتبتهم رضوان الله عليهم فقد قال رضي الله عنه لما سئل عن تفضيل الصحابي الذي لم يفتح عليه وعن القطب من غير الصحابة اختلف العلماء في التفضيل بين اصغر الصحابة مرتبة وبين القطب والحق ان الصحابي افضل من القطب لورود النص فيهم بعينه وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى اصحابي على سائر العالمين ما عدا النبيين والمرسلين واما المقابل فاستدل بقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم قال سيدنا رضي الله عنه ان القطب لا يقدر غيره على تقواه بل ولا على علمه وهذان نصان ولكن الفضل الذي بالنص لا يقاس بعمل ولا غيره هذا اذا لم يظهر عليه فاحرى اذا كانت ظاهرة كهذه وهي مشاهدة طلعته الزكية عليه افضل الصلاة والسلام فاتضح لكل ذي عينين ان الشيخ يعترف لساداتنا الصحابة فاحرى الانبياء بالفضل الاتم واذا اطلع على هذا الذي قلناه لم يبق للمنصف الا الرجوع للحق والاعتراف به من غير اصرار على الجمود المتسبب على الجحود وقد قال الشيخ زروق رحمه الله في تاسيس القواعد انكار المنكر اما ان يستند لاجتهاد او لحسم ذريعة او لعدم التحقيق او لضعف الفهم او لقصور العلم او لجهل المناط او لانبهام البساط او لوجود العناد فعلامة الكل الرجوع للحق عند تعينه الا الاخير فانه لا يقبل ما ظهر ولا تنضبط دعواه ولا يصحبه اعتدال في امره وقد اطال صاحب الرماح في هذا الموضوع ولعل سيادة المجيب اطلع عليه والكريم يرضى به فاتيت به هنا ليطالعه من فيه قابلية للقبول والرد ممن اعتقد او انتقد والرجوع للحق برغم انف كل احد وحسبنا الله ونعم الوكيل

القولة الرابعة

قوله رضي الله عنه اذا جمع خلقه في الموقف ينادي مناد باعلى صوته يسمعه كل من في الموقف ياهل الحشر هذا امامكم الذي كان مددكم منه هذه القولة اثرت

في نفوس كل من لا يتامل معنى الكلام ومقاصد المتكلم به في بساط شكر النعم التي تغمر المنعم عليه في بحرها وتسكره بخمرها فيشطح السكران بها ويزداد صحو العارف بربه بها ولاكنه يصدح بلباله بالشكر من غير سكر وذلك داب العارفين الممنون عليهم بلطائف المنن وهم اصحاب المفاخر العالية والشيم الغالية والفتوحات الربانية ولا يضرهم من خالفهم وانما يضر نفسه سيما اذا بادر بالانكار عليهم فيما ينسب اليهم وكثير من هؤلاء العارفين العارفين من بحر المعرفة من يتكلم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من يتكلم على لسان الحق باشارات دقيقة لا يقف اهل الرسوم في التفهم فيها على حقيقة فيقولون هذا هذيان وهذا لا يفهمه انسان وهذا كفر او شرك وهذا الحاد بلا شك وغير هذا مما يكون حجابا عن الانتفاع بالاعتقاد في المتكلم بذلك ويؤدي الى الحقد على المؤمنين بما قضى على المعترض هواه وعلى المعرض عنهم جفاة ونحن نرفع عن قولة الشيخ رضي الله عنه الستار المسدول على المعنى بالاشارة التي لم يتفطن لها الشارع للانكار فنقول اولا ان المشار له في قوله هذا امامكم للنبي صلى الله عليه وسلم لان الشيخ لم يصرح بنفسه هنا انه هو المشار له وان كان صريح العبارة يقضي بذلك وهذه القولة اتى بها هنا المجيب كما هي ولفظ الشيخ في الافادة يوضع لي منبر من نور يوم القيامة وينادي مناد حتى يسمعه كل من في الموقف ياهل الموقف هذا امامكم الذي كنتم تستمدون منه في دار الدنيا من غير شعور منكم اما وضع المنبر له فليس بمستغرب وضعه للاولياء فضلا عن خواص الخواص منهم مثل سيدنا رضي الله عنه فقد روى الطبراني باسناد جيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا يجلسهم يوم القيامة على منابر من نور يغشى وجوههم النور حتى يفرغ من حساب مع ورود احاديث اخرى من هذا الباب فلا عجب اذا ارتقى الشيخ رضي الله عنه في منبر يوضع له بالوصف الذي ذكره واما المنادي فقد ورد انه يقال على رؤوس الحاضرين بالموقف ان فلانا سعد سعادة لا شقاوة بعدها وينادي على اخر بالشقاوة نسئل الله السلامة والعافية والخلق هناك يسمعون واما الاشارة الى الامام المستمد منه هنا وان

اول بالنبي صلى الله عليه وسلم ولكن الموضوع يقضي بان المشار له هو الشيخ رضي الله عنه وقد قلنا ان هذا صدر منه عن شطح لم يكن عن حظ نفس وانما هو عن تحدث بنعمة ولا يستبعد ان يكون الشيخ اخبر عن كرامة تكون له بذلك الموقف بحسب الوراثة عن سيد الخلق وقد نقل في البغية عن نقل الشيخ زروق رضي الله عنه عن الامام العقباني ان كل كرامة لولي فهي تصديق لنبيه الذي اتبعه فالتكذيب بكرامات الاولياء كالتكذيب بمعجزات الانبياء ثم قال عقبه في البغية فلم يبق لمن سلك الله به اقوم سبيل الا الرجوع الى ما تقدم انفا عن الشعراني في قوله من كان يخبر عما يشاهد فيجب على من سمعه التصديق ان كان مريدا او التسليم ان كان حيا والله يعصمنا من الزلل بمنه وكرمه امين ونحن على يقين بان سيادة المجيب يستنكر استشهادنا بما نقلناه عن البغية عن الشيخ زروق في هذا الموضوع ولعله يقول من اين حصل للتجاني العلم بما يكون في الموقف فيجاب هو وغيره بان

قلوب العارفين لها عيون ترى ما لا يراه الناظرونا

ونحن نتحقق بان الشيخ رضي الله عنه لا يقول ذلك الا عن اذن من الحضرة المحمدية للتبشير بما اكرمه الله وقد نقل صاحب الجيش عن الشيخ الملالي عن الشيخ السنوسي بعد كلام للسنوسي مما يدل على ان الصادر من بعض الاولياء من التبشير بالجنة ليس مخالفا للسنة قال وبالجملة فللاولياء مكاشفات بالغيب لا ينكرها الا من ينكر كرامتهم وقد قال ابو العباس المرسي رضي الله عنه لولا ضعفة العقول لاخبرت بما يكون غدا من رحمة الله تعالى وقال ابن حجر اخبار الاولياء بالمغيبات لا ينافي قوله تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وقوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول لان علم الاولياء والانبياء انما هو باعلام من الله لهم وعلمنا بذلك انما هو باعلامهم لنا وهذا غير علم الله تعالى الذي تفرد به وهو صفة من صفاته الى اخر ما نقله عنه وعن غيره في الجيش المذكور بما يرغم انف المنكرين المتعصبين فلنرجع الى ما عسى ان يورده المنكر على الشيخ في عموم قوله لاهل المحشر هذا امامكم وفيهم الانبياء والصحابة

واستمدادهم منه لا يكون ولا يصح ان يدعيه احد فنحن نقول ان الشيخ لا يقصد هذا العموم لانه دائما يعترف بفضل الصحابة رضوان الله عليهم فهذه مزية لاتقضي بتفضيله عليهم ولهم منابر اعلى واعلى وارقى وارفع واسطع ولا يبعد ان يكون ذلك في حضرة من حضرات الموقف والمحشر الذي يحشر فيه غيرهم دونهم ان قلنا بان هذه القولة لم تكن عن شطح ونحن نتيقن انها خرجت من الشيخ عن شطح ومع كونها عن شطح فهي منه عن اذن لكونه محفوظا عن الدعوى التي هي من الامر المذموم بل هو مترجم على سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فيما يمليه كما يقول ابو الفتح النظيفي في خريدته على لسان المصطفى صلى الله عليه وسلم في مخاطبة الشيخ رضي الله عنه

وكل الذي تملي فعني مترجم　　　فاعظم بترجمان خير الخليفة

وقد ضمن في هذا البيت ما نقله عن الجامع مما افترق من العلوم بعد ان ذكر عن الشيخ رضي الله عنه مما اكرمه الله به من الفيوضات التي لا يحتاج في املائها الى تامل ما نصه وهذه احوال اهل العلم اللدني رضي الله عنهم ولا يستغرب هذا منه لان سيد الوجود صلى الله عليه وسلم قال له كلما امليت فانت مترجم عني ولربما يتاسف حضرة المجيب حيث لم ينقل هذه القولة المنوطة بترجمة الشيخ عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما املاه لكونها مما يستعظم امره وينكره من اول مرة مع ان العلماء من اهل الظاهر ومن اهل الباطن كلهم مترجمون عن الرسول صلى الله عليه وسلم فمنهم مترجم عنه في ما هو منوط بالشريعة ومنهم مترجم عنه في الحقيقة ومنهم مترجم عنه في الشريعة والحقيقة وهم في ذلك ليسوا بسواء لتفاوتهم فيما منحهم الله به وهذه القولة قالها سيد الوجود صلى الله عليه وسلم للشيخ قدس سره كقوله ميزان قوله اذا سمعتم عني شيئا فزنوه بميزان الشرع ونعمت القولة هذه عند المنصفين وسياتي لها بسط كلام بحول الله اما الانبياء فهم خارجون عن عموم القولة المذكور لتصريح الشيخ رضي الله عنه في غير قولة بانه يتلقى عنهم المدد وله مشرب خاص من الحضرة المحمدية لم يكن احد من الانبياء واسطة في تبليغه

له على يده وانما تلقاه على سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ان الشيخ رضي الله عنه ايضا قد فصل بين النبوة وغيرها كما في كتاب جواهر المعاني وغيرها بما صرح به ان الذي في مرتبة النبوة لا مطمع فيه لاحد من عموم الاقطاب ومعناه ان سائر الاقطاب لا مطمع لهم في التحصيل على ما حصل عليه الانبياء عليهم السلام فالشيخ معترف بان الفضل كل الفضل للنبوة والمزية كل المزية لاهلها وان حصلت مزية لغيرهم بتخصيص وهي فانها لا تقضي بتفضيل صاحبها على احد منهم فقد تمنى موسى ان يكون من امة النبي صلى الله عليه وسلم وليست مزية الواحد من الامة قاضية بان يكون افضل منه عليه السلام وهاكذا الشان في المزايا لا تقضي بتفضيل صاحبها عمن لم تكن له من سائر الوجوه وهذا الخضر عليه السلام عنده من العلم اللدني ما لم يكن عند موسى ومع ذلك فليست الافضلية الا لموسى ولا بشك في هذا مومن عارف بقدر النبوة وبالاخص سيدنا التجاني رضي الله عنه المعترف للنبوة باكثر من هذا فكيف ينسب له ادعاء الشفوق على مرتبة احد منهم في رقيه مسيرة ومنادات المنادي بما ذكره فهو ان كان منه في حالة الصحو فالتعميم مقيد بما يعترف به لاهل النبوة وان كان عن شطح او الاشارة لسيد الوجود فليس هناك ما يستلفت الانظار لهذا الانكار ثم ما قررره هنا في هذه النولة وما قبلها وما بعدها نبرا فيها من حولنا وقوتنا ونعترف بايمان صادق واننا لا نعتقد في الشيخ رضي الله عنه بانه افضل من احد من الانبياء ولا بافضل من احد من الصحابة وان جميع ما يوهم من كلامه شفوقا وعلوا على مرتبة من مراتب من ذكر فهو عن شطح صادر منه لم يتعمده او قاله عن اذن فسلم له حاله فيه ولا نحتمعه فيه على اننا ولله الحمد نفهمه على الوجه الذي يقصده ولا يخطر ببالنا ما يتقده من لا يعتقده وما ذكرناه او نذكره في توضيح ما عسى ان يكون غامضا من عبارته او عبارة من نقل عنه قولة من قولاته فانما مقصودنا تنبيه المعترض المتعرض لهتك حرمته فان كان ممن اراد الله به الخير رجع عن طعنه فيمن يحب الله ورسوله ويدعو الناس الى حب الله ورسوله وان اصر على معاداته فيكفيه ما اخبر الله به على لسان رسوله عليه السلام

حيث يقول قال الله عز وجل من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب وحسبنا الله ونعم الوكيل

القولة الخامسة

قوله رضي الله عنه روحه صلى الله عليه وسلم وروحي هكذا واشار باصبعيه السبابة والوسطى لقد استكبر ناقل هذه القولة هنا واطلع عليها غيره في جوابه هذا ليتفقوا معه على تضليل قائلها ولم يصبر قليلا في تدبر معنى كلامه فقد تكون صدرت عن شطح من الشيخ رضي الله عنه حسبما يدل عليه موضوع تحدثه بهذه النعمة فان سببها كما في الافادة الاحمدية ان بعض اصحابه رضي الله عنه ساله بعض الناس عن قوله رضي الله عنه كل الشيوخ اخذوا عني من عصر الصحابة رضي الله عنهم الى النفخ في الصور فقال صاحب الشيخ رضي الله عنه نعم قالها قال له السائل وكيف ذلك وهو في المائة الثالثة عشر فسال رضي الله عنه عن كيفية ذلك فذكره لمؤلف هذه الاوراق ولا شك ان ذلك السائل لصاحب الشيخ شم منه الشيخ رضي الله عنه رائحة الانكار فتحرك فيه باعث شكر النعمة بان يخبر صاحبه والمله هو مؤلف الافادة ليخبر ذلك السائل بما ذكره له فكانت هذه القولة حسب الموضوع شطحا ومع كونها شطحا فانها لا تمس الجناب المحمدي عليه السلام بادنى ادنى انتهاك حرمة وانما يدل صريحها على كون روح الشيخ رضي الله عنه متصلة بالمحبة بروح النبي صلى الله عليه وسلم لتحققه بها وليس هناك من باس في قول صادق المحبة ان روح حبيبي وروحي هكذا ويشير بالسبابة والوسطى وليس المراد بذلك مساواته به من جميع الوجوه لانه قد فصل في الامداد باعلى مرتبة في جانبه عليه السلام بامداده الرسل والانبياء وامداد الشيخ لغيرهم ولا دخل للصحابة في امداده لمن ذكر فهو وان كان عاما فانه اريد به غير الصحابة وعلى فرض عمومه فالكلام فيه شطح ويقال في الامداد لهم مزية للممد والمزية لا تقتضي التفضيل فهم رضوان الله عليهم افضل العالمين غير النبيين والمرسلين وقد

اطلت النفس في هذا الموضوع في جوابنا المسمى بزهر الافانين في الاجوبة عن الاسئلة الثلاثين وهي اسئلة هائلة وجهها لنا محل الولد البار الاستاذ عبد العزيز الدباغ احد نبغاء المدرسين بمدينة ام درمان بالسودان المصري يراجعها من اراد الاطلاع على ذلك فانها تزيد المعتقد ما يزداد به اعتقادا وتكفيه مؤنة من اطال منه انتقادا وليس في الاشارة بالسبابة والابهام والمقاربة بينهما ما يدل على المساواة بينه وبين سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فان سيد الوجود بعد الانبياء والشيخ في هذه القولة وفي غيرها انما يصرح بانه بعد الاستمداد منهم بعد الاولياء من غير شعور من جلهم وكثير من العارفين من شعر بذلك لكن بعد وجوده رضي الله عنه واما قبل وجوده فشعر بذلك بعض اكابر الاولياء المحمديين كالحاتمي ولم يطلع عليه في ظهر الغيب فسماه مكتوما وقد اخبر الشيخ رضي الله عنه بما كوشف به تحدثا بالنعمة وليزداد بذلك اصحابه واحبابه جميل اعتقاد فيه

فتم لاهل الحق فيه اعتقادهم ... وليس عليهم في المسيء انتقادا
دعاهم لتسليم له حسن ظنهم ... واهل انتقاد لن ينالوا مرادا

اما مقارنة سبابته والوسطى في الاشارة هنا فليس فيه سوء ادب طبق ما اشرنا اليه ولا ما يفهم منه المساواة لا حسا ولا معنى فان السبابة نازلة في الطول عن الوسطى واما من جهة المعنى فالامداد من الرسول صلى الله عليه وسلم يعم الشيخ فهو معترف بانه يستمد منه صلى الله عليه وسلم بلا واسطة وبواسطة الانبياء المفاض عليهم من الحضرة المحمدية ما لا ينكره الا معاند او مكابر جاحد وقد ورد انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا واشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما فالاشارة هنا لا تدل على المساواة معه في الجنة في سائر المقامات فاخباره بما يقوله المبادي صدر منه عن يقين باخبار الرسول صلى الله عليه وسلم او كوشف له عن ذلك كما يكاشف غيره عن مقاماتهم وفي السنة من هذا القبيل شيء كثير لا نطيل بنقله لاكتفائنا بما نقلناه عمن ذكرناه زاد الله في معناه ومع هذا كله فان كل من ذكر هذه القولة فانما نقلها عن صاحب الافادة ولقد بلغنا عن المقدم محمد بصري المكناسي

احد الخاصة ممن اخذ من الشيخ مباشرة انه كان ينكر بعض المقالات في هذه الافادة وقد جمع منها نسخا بقصد ادخالها في خبر كان ولم تبق الا نسخة واحدة تعلق به ولو مؤلفها ابو العباس سيدي احمد السفياني رحمه الله ورضي عنه وتشفع له في تمكينه منها وعاهده على ان لا يطلع عليها احد فكان ما قدر من تناول الخاصة لها والعامة من اصحاب الشيخ وتلقوا ما فيها بوجه القبول مع التسليم التام من غير بحث في تلك الاقوال ولا في غيرها مما اشتملت عليه وبلغنا عن العارف بالله ابي المواهب بن السايح رحمه الله ان العلامة اكنسوس اختصرها في بلاغات مما صح لديه عن الشيخ رضي الله عنه ونقحها مما لم يصح عنه وكان طريقه الاحاد مثل هذه القولة وكان ذلك منه محافظة على الجانب الاحمدي من مطالعة علماء الظاهر بها فلا تقبل عقولهم ما يقفون عليه منها وما كان الا ما قدر الله من ظهورها للشهود والنقل عنها في بساط الكلام المقبول والمردود كما في غيرها من كتب الطريقة وكل كلام فيه المردود والمقبول الا كلام الرسول عليه الصلاة والسلام كما عن الايمة منقول وهو شيء معقول فلا يستنكف من لم يطلع عليه ان يرجع للحق فيما قال او فيما جلبه من اقوال فان الحق حق ولو ابطله الجاحدون والباطل باطل وان صححه المبطلون ولقد كان اكد علي بعض علماء قطرنا المغربي ان اؤلف تاليفا في نفي ما يستلفت انظار المنتقدين مما هو مذكور في كتب هذه الطريقة المحمدية التي كان عليها والده المذكور من المتفانين فيها والعاض على حبلها بالنواجذ ولم يزل يتفقدني في الصاق ما شاع منها بغير الشيخ من الناقلين لها وتنزيه ساحة الشيخ رضي الله عنه لما لعمن كمال المعرفة بالله وتحقق جلالة منصبه في العلم الصحيح الى ان يسر الله في تاليفنا المعنون بجناية المنتسب عما نسبه للشيخ بالكذب فذكرت ما تيسر لي الاطلاع عليه من اقوال واحوال واذكار واسرار وتكلمت فيه بلسان صدق في بيان الحق على وفق ما وفقني الله اليه ولم يكتف العلامة المذكور بما تعرضت له في منظومتي المسماة بنصيحة الاخوان والمقصود من هذا وذاك المدافعة عن هذا الجناب بحسب الامكان ونحن ولله الحمد نفهم من كلام الشيخ سواء ثبت لدينا انه صحيح اوغير

صحيح بنسبته اليه ما لا محذور فيه وما لا بأس به ولا كلفة لدينا في الفهم عن الله فيه مما لا يخالف الشرع او يحيط مما نوه الشرع به عملا واعتقادا غير انه ربما لا تساعدنا العبارة عن التعبير بما في الضمير على اننا وان لم نال جهدا في تاويل بعض المقالات والمرافعة عنه بما نراه حقا واننا نرجع الى ما نقرره المرة بعد المرة ونكرره فيما نحرره من ان الطريقة التجانية شيء والخوض فيما اشتملت عليه الكتب المؤلفة فيهاشيء، ومدارها على الورد والوظيفة وذكر الجمعة والمحافظة على الصلوات المفروضة على احسن ما يكون والقيام بغيرها بقدر الامكان وما زاد على ذلك فهو فضل او فضول والذي نصرح به على رؤوس الاشهاد ان كل ما هو منقول عن الشيخ رضي الله عنه مما فيه ايهام فهو منه شطح مع التحقق بانه ولله الحمد لم يصدر منه شطح يوجب حدا عليه فيه وحاشاه مما نسبه له من القول الذي لا يليق به او تنفيه ونحن مطمحنا في المبادي الى النهاية الكشف عن خدور المعاني المنطوي عليها كلامه مع بيان الخطا من صواب المنتقدين بارغام انف المبغضين والحاسدين ونعيب على من يدعي العلم ويخون في امانة النقل بزيادة او نقصان او يفصل بين جمل الكلام ليتم له ما يقضي عليه هواه من انكار بزور وبهتان وليس في الرد على من تصدق للتضليل والتكفير من ملام ولو ارتقى في مراتب العلماء الى اعلى مقام ولهذا وذاك سنح لنا ان نرجع للقولة التي نقلها هنا المجيب ونراجعها مع ما هو منقول في كتاب جواهر المعاني وكتاب رماح حزب الرحيم اللذين ينقل عنهما ويحيل عليهما بعد ما استغربنا ما نقله عنهما مما لا رواية لنا به فاذا بهذا المجيب لم يؤدي امانة النقل على وجهها حيث انه قسم كلام الشيخ هنا الى قولتين وفصل بين هذه القولة وتمامها بما نقله من قوله قدماي هاتان على رقبة كل ولي لله حسبما ستتم الكلام عليه فيها بحول الله وستمضي تقوله على الشيخ ما لم يقله في تمام هذه القولة مع انه من حملة النقل الذين قيل فيهم العلماء مصدقون فيما ينقلون مبحوث معهم فيما يقولون واذا النقل خان فيه ذووه فعلى العلم الف الف سلام فما كان من حق سيادة المجيب الفصل بين جمل قولة بغيرها ليجيء الكلام على وتيرة واحدة وبالله التوفيق

القولة السادسة

قوله قدماي هاتان على رقبة كل ولي لله تعالى من لدن ءادم الى النفخ في الصور قد نقل هذه القولة هنا سيادة المجيب ليستلفت اليها انظار قرنائه في بغض الشيخ الذين يقعون في السقطات وينهضون من مهاويها عظيم على حسب فهمهم ويسارعون للانتقاد لما سمعوه او راوه من غير اطلاعهم على ما وراء ما بلغ اليه علمهم وقد قال قبله القطب الرباني مولاي عبد القادر الجيلاني قدمي هذه على رقبة كل ولي والاشارة هنا وان كانت لشي محسوس فالمقصود به المقام الذي ادركه رضي الله عنه ونحوه من الاسرار العالية المقدار التي يذعن لها اهل الله ويعترفون بجلالة من حل ذلك المقال او نال ذلك السر وقد جرى في مثل العامة في التنويه بقدر من يعترفون له بالفضيلة بالرغم على انفهم فلان رجله على قفاي بمعنى له الفضل علي فيما تفضل الحق به عليه والا فلا معنى لوضع الرجل على الرقبة الا في موضع غلبة المعاند واذلاله بوضع الرجل على قفاه وهذا غير مقصود لا للقطب الجيلاني ولا للقطب التجاني ولعل هذا المعنى هو الذي ساق من اجله المجيب هذه القولة اظهارا لما توهمه من اهانة الاولياء بهذه القولة ولا يحتاج فيها الى تاويل لان العامة يتسارع الى فهمهم ما يعطيه ظاهر العبارة وقولة الشيخ يتداولها العامة طبق ما منقولة عن الافادة الاحمدية وقد ذكرها في الرماح مؤلفه وساقها برواية عن العارف ابي المعارف سيدي محمد الغالي ابي طالب احد الخاصة من احباب الشيخ رضي الله عنه فقد قال انه اخبره وهو معه في المدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة وازكى السلام ان الشيخ رضي الله عنه وارضاه وعنا به ءامين قال ذات ليلة في مجلسه ابن السيد محمد الغالي فجعل اصحابه ينادون ابن السيد محمد الغالي على عادة الناس مع الكبير اذا نادى احدا فلما حضر بين يدي الشيخ قال رضي الله عنه وارضاه وعنا به ءامين قدماي هاتان على رقبة كل ولي لله تعالى فقال سيدي محمد الغالي وكان لا يخافه لانه من اكابر احبابه وامرائه ياسيدي انت في الصحو والبقاء ام في السكر والفناء فقال رضي الله عنه وارضاه وعنا

بل انا في الصحو والبقاء وكمال العقل ولله الحمد وقال قلت له وما تقول بقول سيدي عبد القادر رضي الله عنه قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعالى فقال صدق رضي الله عنه يعني اهل عصره واما انا فاقول قدماي هاتان على رقبة كل ولي لله تعالى من لدن ءادم الى النفخ في الصور قال فقلت له ياسيدي فكيف تقول اذا قال احد بعدك مثل ما قلت فقال رضي الله عنه وارضاه وعنا به ءامين لا يقوله احد بعدي قال فقلت له ياسيدي قد حجرت على الله تعالى واسعا الم يكن الله تعالى قادرا على ان يفتح على ولي فيعطيه من الفيوضات والتجليات والمنح والمقامات والمعارف والعلوم والاسرار والترقيات والاحوال اكثر مما اعطاك فقال رضي الله عنه وارضاه وعنا به ءامين بل قادر على ذلك واكثر منه ولكن لا يفعله لانه لم يرده الم يكن قادرا على ان ينبيء احدا ويرسله الى الخلق ويعطيه اكثر مما اعطى محمد صلى الله عليه وسلم قال قلت له بلى لكنه تعالى لا يفعله لانه ما اراده في الازل ولم يسبق به علمه تعالى وقد جلبنا من الرماح هذه القضية بما انطوت عليه مما تقوم به قيامة المنتقد غير المعتقد وكانه لم يطلع سيادة المجيب عليها ليفرغها في قالب التشويه فيظهرها في صورة المنكر الذي لا فيقول من اين الاطلاع للتجاني على عدم ادعاء لما ادعاه بعده وعلى كون الحق تعالى لا يخلق مثله ومن اين علم ان الحق تعالى ما اراده في الازل ولم يسبق به علمه زيادة على ادعاء هذه المقالة وهو في الصحو العام الذي حمد الله عليه فان القى المنتقد هذه الاسئلة في هذه القضية التي تحمل اكثر مما ذكر لدى صاحب الانتقاد فيقال عليه ان هذه القضية لا تخلو من شطح مع كون الشيخ في غاية الصحو ونحن نعتقد انها صدرت منه على لسان الحضرة المحمدية والحضرة الاحمدية وهاتان الحضرتان هما المقصودان بالقدمين والاشارة من الشيخ اليهما جرت عن مشاهدة مقامهما باستغراق تام منه بجولان كليته في ميدان التفكير فيهما بما اداه الى الغيبة في حال الصحو عن سكره وترجم عن سيد الوجود المتحقق بهذين المقامين بما املاه من اول القضية الى ءاخرها وقد قال رضي الله عنه فيما نحفظه مما رواه الثقات عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له كل ما امليت فانت

مترجم عني فصاحب هذه القولة في الحقيقة هو النبي صلى الله عليه وسلم والشيخ مترجم عنه ولا عبرة بمن فهم غير هذا وان كان يستعظمه من لا اطلاع لهم على ظهور الرسول صلى الله عليه وسلم في مظاهر المكونات فقد قال بعض العارفين لتلميذه مرة اشهد اني رسول الله ثم نظر اليه وتحقق به غيبة ذاته في ذاته فقال اشهد انك محمد رسول الله فكان من نتائج تصديقه لشيخه وراثته لسره وهذا المقام قد يدعي فيه المنتقد تضليل الواصل اليه وتضليل المصدقين لمثل هذه القولات فنحن نعذره لكونه لم يجتمع باحد من اهل الله الذين راوا ما راوا وشاهدوا ما شاهدوا مما لم يداخلهم فيه ارتياب المنتقدين ولا يفتح في وجوههم في مثل هذا باب وقد مضت على قولة الشيخ ما يناهز قرنين وما عثرنا على احد من اهل الله من يقول مثل هذه القولة التي يقول فيها لا يقوله احد بعدي على ان مزاحميه من المدعين كثيرون ودعى بعضهم بعض ما ادعاه ونحن لم نقف على من قال مثل هذه القولة من يراقب مولاه واذا تحققنا فتحقق الشيخ رضي الله عنه بهذين المقامين مقام الاحمدية ومقام المحمدية او تحققه بالشريعة وبالحقيقة بما يذعن له فيه كل ولي الله فلا جرم اذا قال هذه القولة قياما بواجب شكر النعمة وليس في ذلك ما يشعر بما يخل بالدين او فيه اساءة على اولياء الله المتقدمين والمتاخرين لانهم ادرى بمقامه ومقاله ولا يدعي شمول هذه القولة للانبياء والصحابة الا مبغض لا يقبل قوله فهذا ما ظهر لنا في هذه القولة التي لا يمكننا ان نقول انها مكذوبة عن الشيخ ونحن نرويها بالسند اليه وان حاججنا مبغض فنحيله عما يجيب به المحبون الصادقون في قولة صاحب الفضيلة القطب الرباني مولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه فما اجابوا به عنه نجيب عن القطب التجاني والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

القولة السابعة

قوله رضي الله عنه روحه صلى الله عليه وسلم تمد الرسل والانبياء وروحي تمد الاقطاب والعارفين والاولياء من الازل الى الابد هكذا نقلها المجيب عن احد

الكتابين اللذين يقول انه ينقل عنهما وهما جواهر المعاني والرماح ونحن نحيل له اعادة النظر فيهما بكل منظر وناشده الحق بان يصدقنا بما مراده من فصل هذه الكلمة عما قبلها بذكر القولة السادسة المتقدمة ونشده الله في بيان موجب كذبه على الشيخ هنا في قوله من الازل الى الابد ومن اين اتت هذه الزيادة وكاني به يعتذر بخطاه وغفلته وما اراد يكابر الا فيما يفهمه من هذه القولة التي يريد الزام الشيخ فيها بمساواته للرسول عليه السلام سواء صدر منه عن شطح او غير شطح مع انه لا يفهم منها احد المساواة وحاشى جانب الشيخ من ادعائها الم يقل روحه صلى الله عليه وسلم تمد الرسل والانبياء ويعترف الشيخ في غير ما مقالة بان الفيوض من النبي صلى الله عليه وسلم تتلقاها ذوات الانبياء ومنهم للشيخ ويقول وروحي تمد الاقطاب الى اخر ما ثبت عنه فمن سمع هذه القولة باذنيه يتحقق بان الشيخ يقول بان جميع الامداد هو من الرسول صلى الله عليه وسلم وليس هناك ما يشعر بان الشيخ يمد الانبياء والرسل ولم يبق الكلام الا في كونه يمد الاولياء وعموم هذا اللفظ يشمل الصحابة وقد رءا المنتقد ما اجاب به صاحب الرماح وغيره بانه عام اريد به الخصوص ولسان التخاطب يدل عليه ومنه يعرف الفرق بين اطلاق الصحابة واطلاق الاولياء فلا يقال للولي صحابي ولا للصحابي ولي وان كان اصغر الصحابة افضل من اكبر الاولياء فما لهذا المنتقد يغض الطرف عما رءا الجواب قد فرغ منه على ايرادات اوردها من قبله غيره ويتبجح هنا انه هو ابو عذرها الا ما كان من زيادة ونقص في القول الذي اورده هنا فهو اعرف من غيره يجول في ميدان الطعن في الشيخ ولينظر هنا مطالع جواهر المعاني والرماح والافادة وغيرها من كتب الطريقة ما زاده هنا من قوله من الازل الى الابد وكانه روى ذلك بمعنى ما نقله من الافادة من قوله من يوم انشا الله العالم وفرق بين هذه العبارة وبين ما ذكره من الازل الى الابد وفرق بين هذه العبارة وبين ما يجري على لسان الشيخ في بعض مقالاته من عصر الصحابة الى النفخ في الصور فليس نفخ الصور هو الابد وليس يوم انشا الله العوالم هو الازل فليكف هذا المنتقد خيانته في النقل كما اشرنا

اليه ثم انه لا يلزم شيء شرعا من قال انا ممد الاولياء وهو يرى من نفسه ذلك بما لم يره غيره متنقدا كان او معتقدا وغاية الامر ان المنتقد يستعظم هذا بعقله ويقول يستحيل صدور الامداد من متاخر لمتقدم ومن متقدم لمتاخر وما درى المنتقد ان هذا امر على سبيل خرق العادة يحتاج فيه الى كشف حجاب عن كيفية ذلك الامداد ومثل المنتقد لا يكشف له عنه ولا يمكن منه ان يتصوره او يراه ومن اطلع على بعض اسرار الارواح واجتماعها وافتراقها في العالم الروحاني واستمداد بعضها من بعض لا يتسارع بانكار ذلك ولا ينبغي لمن لا علم عنده بمثل ما في ضمن ذلك الانتقاد بما لم يحط به خبرا والعجب كل العجب من هذا المنتقد في زعمه انه وضع كتاب المطالب القدسية في احكام الروح وءاثارها الكونية وهو ينكر ما هنا وكانه لا يعرف اسرار الروح وامدادها واستمدادها ولو اتيح لي الاطلاع على تاليفه المذكور لاوقفته على غلطه هنا بنفس ما يقول وكاني به ينقل هناك عن الغير عن غير معرفة بما ينقله او يتصور في تفهمه شيء يقبله عقله والا لو كان يعرف لم يعرف لما يحققه أهل المعرفة بان الروح شانها عظيم وخطبها جسيم وهي من امر الحق ولا يعرف العارف منها الا ما الهمه الحق وهناك شيء كثير مما لم يمكن للعارف الهام ولا المام به فضلا عن غيره لدخول جل شؤونها في دهليز الاسرار الخفية وما يعقلها الا العالمون ولقد كنت اطلعت على رسالة في الروح في واقعة منامية وحصلت مضمونها وبعد ما استيقظت امليتها في نحو كراسة سميتها السحر البابلي الموجهة الى الشيخ محمد الشاذلي وموضوعها دائر حول دائرة قل الروح من امر ربي ليطالعها من ارادها وهي مطبوعة ثم ان ما ذكرناه هنا انما هو مساعدة لصحة نسبة هذه القولة المتحدث عنها جرت من الشيخ رضي الله عنه في حال الصحو والغالب عندنا وعند جماعة من شيوخنا في الطريقة انها جرت منه كامثالها في حال شطح وموضوع صدورها منه يدل عليه مع انه ليس هناك ما يمس جانب الحق ولا جانب سيد الخلق مما يحوم حوله المنتقد من نقص او تنقيص للجانب المقدس اما ما يدل على ادعاء الشيخ لمرتبة دونها مراتب غيره من الاقطاب والعارفين والاولياء رضي الله عن الجميع فقد ذكرنا

ونذكر ان الصحابة خارجون عن ذلك وقد اعترف الشيخ بارتفاعه على يدهم ولا يحمل لاحد التشيع للشيخ من سائر المريدين في هذا المقام وان كانت تلك مزية وهي لا تقتضي بفضلية عليهم بل هم افضل الناس باطلاق ولو تحقق حصوله على مرتبة الخلافة عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الارشاد والعلماء كلهم خلفاء عنه صلى الله عليه وسلم مع تفاوتهم في الدرجات بحسب ارائة تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية فتفاوت العلماء في الدرجات كتفاوت الاولياء بينهم فيها وتفاوت هؤلاء السادة كتفاوت الانبياء والرسل فيها وسعة الفضل الالاهي تقضي بالتفاوت من غير انتقاد في تنوعاتها بتنوع احوال اربابها وليس هناك ما يستوجب به الشخص الملامة في قوله النبي فلان عنده ما ليس عند النبي فلان ان كان له المام بالوجه المدعى فيه ومسالة الخضر وهو ليس بنبي تدل على ذلك والا لكان مطالبا ببيان وجه الاعلمية الواردة في حقه وعند الخضر من مما لم يستطع صبرا عليه موسى شيء كثير يدل عليه تمني الرسول لذلك في حقه رحمه الله اخي موسى لو صبر لكونه عليه السلام ودان لو زاد معه ليظهر له مما لم يكن عند موسى عليه السلام فتستفيد منه امة الرسول صلى الله عليه وسلم ليزدادوا اطمئنانا بما جاءهم به عليه السلام يود دائما افادة امته بما يجري على يد غيره ولذلك كان دائما يسال عمن رءا رؤيا ليحدثه بها بمحضر من حضر من اصحابه رضي الله عنهم والا فهو في غنى عن علم غيره وعما يشهد له من نحو ذلك فالتجاني اذا ادعى انه يمد الاولياء فليس ذلك بادعاء للمستحيل او لشيء لا يقبل منه وهو اخبر عن نفسه بنفسه لما تحقق به في عالم معناه وحسه وهذا كله على فرض ان هذه القولة جرت منه عن صحو او عن شطح حسبما اقضنا القول فيه وان كان هنا من الاخوان من يخالفنا وربما يكون ذلك منهم عن تعصب او جهل بحال الشيخ رضي الله عنه فنحن ما مقصودنا الا بيان الحق من طريقه الحقيقي والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

القولـة الثامنـة

قوله رضي الله عنه ان اعمار الناس كلها ذهبت مجانا الا اعمار اصحاب الفاتح

لما اغلق فقد فازوا بالربح دنيا واخرى ولا يشغل بها عمره الا سعيد هذه القولة ان ثبتت بهذه العبارة عن الشيخ فلا يفهم منها اهل الاعتقاد الا تاكيد الشيخ على الاكثار من الصلاة على سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ولولا شدة حرصه على اغتنام الناس لخير كثير ما بالغ في التنويه بهذه الصلاة العظيمة القدر ولكن مع حرصه على نفع العباد بث فيه النبي صلى الله عليه وسلم روح الارشاد اليها فتكلم في فضلها بالسنة عديدة لا يفهم جلها الا من امن بالغيب وكان له تصديق تام بما يخبر به اهل الله بوارد الالهام ولقد حدثني سيدي ومولاي العارف بربه ابو العباس العبدلاوي رضي الله عنه انه اتاه شخص يطلب منه الاذن في الطريقة قابلا لجميع شروطها طبق ما هو المامور فيها واخبره انه كان له اخ في الله سالكا معه في طريقة العباسوية على قدم الجد غير خارج فيها عن الحد وكانا معا على جانب كبير من التقوى فتوفي صاحبه فرءاه في النوم فسأله عن احواله في الاخرة فاخبره بانه في اسف عظيم على ما فاته من اجر الفاتح لما اغلق حيث انه لم يكن يذكرها وكان يذكر غيرها من الاذكار العظيمة المقدار واكد عليها بان يغتنم ولو فضل واحدة منها بالاذن الخاص فكانت رؤياه هي السبب الداعي لطلب الاذن منه في الطريقة ولهذه الرؤيا نظائر يثبت الله بها قدم الاحباب ممن فتح له في الدخول لها واسع الابواب ولا شك ان من نظر الى الفضل المنوط بها فيما اخبر به الشيخ اصحابه واحبابه وما لم يصرح به لهم مما قال فيه لو ذكرت لكم حقيقة واحدة من حقائق الفاتح لما اغلق لاقتلني اكابر العارفين بقتلي فلم يصرح رضي الله عنه الا بما امر بالتصريح به لاهل التصديق فنفع الله بها من ذكرها ولو مرة واحدة فانه يتاسف على ما فاته من خير واما غير المصدق فسيرى لمن عقبى الدار والمراد بذهاب اعمار الناس الذين لم يذكروها مجانا هو ما يحصل لهم من الاسف على ما فاتهم من ذكرها وفضلها ويرون ما لديهم من الخير بالنسبة لما يحوزه ذاكرها كلا شيء فكانه ذهبت اعمارهم سبهللا وفي ذلك من الارشاد الى الاكثار من ذكرها ما يحمل الموفق اليها بعمارة اوقاته بها ليفوزوا باجرها ومن ذا الذي ينكر جلالة فضل مطلق صيغ الصلوات على الرسول صلى

الله عليه وسلم فاحرى صيغة وقعت المبشرات بها وهي صلاة الفاتح لما اغلق والعمل بمقتضى المبشرات مما لا مس له بهدم قاعدة من قواعد الدين او معارضة حكم من احكام الشريعة المحمدية محمود وربما كان تأكيد العمل به مما يتم به المقصود مثل ما هنا ومن اطلع على ما ذكره الشيخ من فضلها وكان له في اهل الله اعتقاد جميل ونية صالحة تحقق بان من لم يكن من اهلها فانه الربح الذي ما مثله ربح واعترف بان عمره قد ضاع سدى وان من شغل به عمره كان من اسعد السعداء وسيأتي بعض الكلام على ما سيورد سيادة المجيب بان ينفر الناس من هذه الصلاة فحرم نفسه من ذكرها بنية ذلك الفضل وصد عنها من خدش وجهها الجميل في مجمعهم الحفيل فاعرضوا عنها وهي في الحقيقة المعرضة عنهم فلم يكونوا منها ولا كانت منهم وما اعظم حسرة المعرضين عن الخير حين يروا غيرهم ظفر به وبالله التوفيق

القولة التاسعة

قوله رضي الله عنه اخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم اني انا القطب المكتوم منه الي مشافهة يقظة لا مناما فقيل للشيخ وما معنى المكتوم فقال هو الذي كتمه الله تعالى عن جميع خلقه حتى الملائكة والنبيين الا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فانه علم به وبحاله وهو الذي حاز كل ما عند الاولياء من الكمالات هذه القولة لعل المجيب ذكرها لما رءاه فيها من ذكر المكتوم بتفسيره حيث انه استغرب هذا الاسم وهو لفظ اصطلاحي بين الصوفية كاطلاق الختم والفرد والغوث والقطب وغيرهم ممن حل في مرتبة يسمى من حل فيها باحد هذه الاسماء حسب مشربه وعلو منصبه وقد قال الناس لا مشاحة في الاصلاح سواء قلنا بورود مثل هذه الاسماء عن المشرع عليه السلام او بابتداعها فلا معنى لانكار هذه الاسماء في الاطلاق على اهلها واول من تعرض للقطب المكتوم هو الشيخ الاكبر بن عربي الحاتمي فقد كان يرى مقام الوارث المحمدي المختص بالامداد الاعظم والفيض الاتم من الحضرة المحمدية جاريا بوساطته وطالما بحث عنه ليتعين لديه فيعرفه ويعرف به

غيره فلم يتيسر له ذلك فسماه من عنده مكتوما وقد اخبر سيد الوجود صلى الله عليه وسلم الشيخ التجاني بانه هو القطب المكتوم وقد فسره الشيخ بانه هو الذي كتمه الله تعالى عن جميع خلقه الا سيد الوجود وليس في اخفائه عن غير سيد الوجود عليه السلام ما يوجب اي نكار او ينتقد عليه من ليس لديه به استبصار فانه كان مكتوما الى ان برز للوجود فظهر امره لدى العارفين بتعريفه بنفسه الى الآن فالمكذب للشيخ في تحصيله على هذا المنصب تكذيب لمن رءاه واخبره ولا سبيل لتكذيب من اخبر عن نفسه بانه رءا ما رءى الا بسوء الظن فيه فلا يجدي فيه حينئذ كلام ولا يرده ملام فالمتعين الاعراض عنه لوقوفه مع ما لديه ويكفيه جهله وعناده وحرمانه من الخير الذي حجبه عنه انتقاده مع اطلاق لسانه

ولحوم اهل العلم مسمومة ومن يعاديهم سريع العطب

اما وصف الشيخ رضي الله عنه للقطب المكتوم بانه هو الذي حاز كل ما عند الاولياء من الكمالات فليس هذا تبجح من الشيخ رضي الله عنه وانما هو زيادة بيان لما منح الله به القطب المكتوم من السر المختوم ولو كان نقل هنا المجيب ما نقله صاحب الافادة الاحمدية عن الشيخ رضي الله عنه في التعريف بالقطب المكتوم لعظم استلفات اقرانه لذلك يتسع به لهم مجال الانتقاد فان الشيخ رضي الله عنه كما فيها يقول القطب المكتوم هو الواسطة بين الانبياء عليهم السلام والاولياء لانهم لا يطيقون تلقي الفيض منه صلى الله عليه وسلم الا بواسطة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وواسطته ومدده الخاص به انما يتلقاه منه صلى الله عليه وسلم من غير واسطة نبي له مشرب من حضرته صلى الله عليه وسلم مع الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهذه القولة منه يزيد به المنتقد قلقا وحنقا والمعتقد تصديقا فان الشيخ رضي الله عنه يشير الى نفسه بحصوله على هذا المقام بانيا على ما اخبره بذلك النبي عليه الصلاة والسلام اما المكذب لذلك فلا كلام لنا معه وانما يطالب بالدليل على تكذيب الشيخ في المبشرة التي بشره بها النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نعترف جميعا بذهاب

[illegible]

باخبار الشيخ عن نفسه بذلك ونحن لا نتهمه بالشحيح وانما نعتقد فيه ان اخباره بذلك من قيامه بحق الشكر الذي بنت عليه طريقه وهي طريقة الشكر في السر والجهر فهو يقول انا القطب المكتوم بالاقتداء بسيد الخلق الذي يقول انا النبي لا كذب وهو من البرهان الاني الذي لا موجب للطعن فيه بل هو من البراهين القاطعة فان المخبر بما رءا اوقع في النفس على اخبار غيره بما لديه وقد تعرضنا لما يتعلق باخباره عن الفيوضات التي تتلقاها ذوات الانبياء من سيد الوجود عليه السلام ويتلقاها الشيخ قدس سره منهم وتفيض منه على غيره من الاولياء مع ما خصه الله بمشرب خاص من النبي صلى الله عليه وسلم وليس في ذلك كله سوءادب مع اهل الله ولا انه فيه ما يمس الدين الاسلامي بادنى انتهاك حرمة ولا بما يهدم قاعدة من قواعده التي يزعمها من حرمه الله من الانتفاع على يد الشيخ وغيره من اهل الله وغاية ما هناك ان المراد بالاولياء غير الصحابة طبق ما يقضي به لسان التخاطب وقد اشرنا له مرارا ولا يشمل الانبياء ايضا لان الشيخ يقول بانه يتلقى عنهم الفيض ومنه للاولياء وجميع ما اخبر به في هذا المقام اخبر انه تلقاه عن سيد الوجود عليه السلام ولا شك ان ذلك منه عن يقين لتلقيه عن مخبره به بيقين وليس في ذلك ما يخالف الدين والحاصل ان هذه القولة وامثالها اذا لم تكن عن شطح فهي واردة عن مخبر صادق فيما يقول فان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا وهو خليق بالصدق ولاجماع اهل الفضل من عصره على تقواه وكمال فضله فان الدرك على مكذبه طبق ما نقول مما عنه نقل وهو شيء قليل بالنسبة لما نقله عنه النقلة في هذا السبيل وهو شيء كثير من هذا القبيل مع ان الخوض في هذا من حيثية قبوله ورد الايرادات الواردة عليه والانتقادات الصادرة فيه من المتعصبين للشيخ واصحابه لا دخل له في الطريقة لان الطريقة التي هي ورد ووظيفة وذكر جمعة بشروطها المقررة لا يطالب المريد باعتقاد مثل هذا فهي شيء وهذه الاقوال والمؤلفات فيها شيء اخر فليطب المريد نفسا بالاذن الحاصل له فيها من غير احتياج منه الى الاهتمام برد ما يورده على طريقه جميع المتشددين وليقم مقام التثبت برسوخ قدمه

فيها مع المريدين الصادقين والمعتقدين وجميع ما ذكرناه او نذكره انما هو ارشاد لطلابه وبيان حق لمن لم يهتدي فيه من الخطا لصوابه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

القولة العاشرة

قوله رضي الله عنه انا سيد الاولياء كما كان النبي صلى الله عليه وسلم سيد الانبياء هذه القولة لا ادري من اين اتى بها سيادة المجيب واذا صحت عن الشيخ رضي الله عنه فتكون اما من قبيل التحدث واما من قبيل الشطح وليس في هذه القولة ما يهدم ركنا من اركان الشريعة ولا ما يمس الجانب المقدس بادنى انتهاك حرمة وغاية ما هنالك تشبيه سيادة الشيخ بسيادة المصطفى عليه السلام والمشبه لا يقوى قوة المشبه به ولا يكون التشبيه به من سائر الوجوه ولا يدعي الشيخ رضي الله عنه هذه السيادة ان ثبت هذه القولة من كلامه الا عن تحقق بالمقام وتمكنه به اما عن كشف صحيح او الهام صريح او سماع اذن من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وليس في ذلك من استحالة ولربما صدرت هذه القولة عن الشيخ رضي الله عنه في بساط جمع قلوب مريديه على ما يرشدهم اليه بروع حب الحب فيهم ليثمر لهم قبول ما يلقيه اليهم من الارشاد وعلى قدر محبة المريد لشيخه يعظم نفعه كما هو مقرر في كتب القوم بما لا نحتاج فيه الى جلب نقول تعضيدا لما نقول وعلى كل حال فادعاء السيادة على سائر الاولياء ليس بالامر المهين ان لم يكن عن اذن ونحن نستبعد صدور هذه القولة عن الشيخ رضي الله عنه وان ثبت صدورها عنه فهي فيما نراه صادرة عن شطح وان كنا نعتقد بحسن الظن في بساط شيخوخته انه افضل عندنا من غيره من سائر الاولياء ولا علينا فيمن انكر علينا ممن لا معرفة لهم بما يتعين في حق المريد الطالب للسر الخصوصي الساري اليه على يده بكمال المزيد فنرجو من الله ان لا يخيب املنا ظننا ويختم لنا بالحسنى

القولـه الحاديه عشر

قوله رضي الله عنه نسبة الاقطاب مني كنسبة العامة الى الاقطاب هذه القولة اتى بها المنتقد هنا مقتطفة من كلام للشيخ رضي الله عنه يتعلق بالقطب المكتوم يقول فيه نسبة الاقطاب معه اي القطب المكتوم كنسبة العامة مع الاقطاب فحرف سيادة المجيب لفظة معه بقوله مني ومع الاقطاب بقوله الى الاقطـاب ولكن خفف عهدة تصحيفه كون القطب المكتوم هو الشيخ رضي الله عنه وليس في هذه القولة شيء يخل بالدين وانما فيه التنويه بقدره والتحدث بنعمة المعرفة الكبرى التي منحه الله بها والفضل الذي لا ينال الا بالموهبة الخصوصية من الحق المتفضل عن من شاء بما شاء والله هو الفضل العظيم

القولـة الثانيـة عشر

قوله رضي الله عنه لو اطلع الاكابر من الاقطاب على ما اعد الله لاهـل هذ الطريقة لبكوا وقالوا ياربنا ما اعطيتنا شيئا هذه القولة فيها هنـا تحريف ونقص وزيادة والمحفوظ عن الشيخ كما في الافادة الاحمدية هكذا لو اطلع اكابر الاقطاب على ما اعد الله تعالى لاصحابنا في الجنة لبكوا عليه وقالوا ما اعطيتنا شيئا ياربنا قاله تحدثا بنعمة الله تعالى ونصيحة وترغيبا لاخذ طريقته المحمدية على منشئها افضل الصلاة وازكى السلام ولعل سيادة المجيب يستهون الزيادة والنقص في الكلام الذي ينقله ويستحضره في مخيلته ما يعقله وما لا يعقله فينكر الصورة التي يتخيلها وكانه هنا يستلفت انظار قرائه الى مضمن هذه المقالة من غير استحضاره للتعليق المتعلق بهذه القولة وصريح معناها لم يطلع اكابر الاقطاب على ما اعد الله لاصحابنا في الجنة فلم يحصل منهم بكاء الى اخره ولو اطلعوا لبكوا وقالوا ولكن لم يطلعوا والكلام هنا بما فيه من المبالغة فيه ترغيب كبير للتقيد بحبل هذه الطريقة بتحدث الشيخ رضي الله عنه بما من الله به على اهلها كما عقب صاحب الافادة الاحمدية هذه القولة

بما ذكره وليس في هذا هدم للشريعة ولا من الامور القطيعة بل هو اخبار الشيخ بما تحققه في سره من هذه المنقبة العظيمة اما بوارد الالهام واما باخبار له من النبي عليه السلام وان كانت لا تخلو عن شطح لغرض محمود يتم به للمصدقين كمال المقصود اما ما يستشعره منها مطالعها من استنقاص اكابر الاقطاب لما منحهم الحق بما يطلعون عليه مما اعده الله لاصحاب الشيخ رضي الله عنه فلم يحصل شيء منه لانهم لم يطلعوا وليس في عدم اطلاعهم عليه من نقص في حقهم فان السادة الاقطاب هم اعيان سادات الامة فاذا لم يكن لهم اطلاع على ما اعد الله للاصحاب فمن باب اولى غيرهم وما ذاك الا تنويه بقدر الطريقة بفضل احديه الذي لا تعبر عنه العبارة ولا تفي بما انطوى عليه الاشارة وهو مما لا يداخل الاحباب فيه ارتياب والحمد لله رب العالمين

القولة الثالثة عشر

قوله رضي الله عنه كل الطرائق تدخل عليها طريقتنا فتبطلها وطابعنا يركب على كل طابع ولا يحمل طابعنا غيره ومن ترك وردا من اوراد المشايخ لاجل الدخول في طريقتنا هذه المحمدية فلا يخاف من شيء يصيبه لا من الله ولا من رسوله ولا من شيخه حيا او ميتا ومن دخل في زمرتنا وتاخر عنها ودخل غيرها تحل به المصائب دنيا واخرى ولا يفلح ابدا لا ادري من اين نقل هذه القولة حضرة المنتقد المجيب وكانه روى ما في الافادة الاحمدية وغيرها بالمعنى فاتى بالفاظ تناسب انتقاده فجمع في هذه القولة اربعة جمل الجملة الاولى ماخوذة من قول الشيخ في الافادة الاحمدية طريقتنا تنسخ لجميع الطرق وتبطلها ولا تدخل طريق على طريقنا والجملة الثانية من قوله فيها طابعنا ينزل على كل طابع ولا ينزل عليه طابع ثم انه لو اطلع على ما تحت هذين الجلتين لزاد في طنبور انكاره نغمة ونحن نصرح بذلك هنا ليزداد المعتقد يقينا بقدر هذه الطريقة ويرغم انف المنتقد من اي فريق كان بين ذوي الحقيقة فنقول ان مراد الشيخ هنا اعلام اصحابه وغيرهم بان

طريقته تنسخ جميع الطرق بمعنى انه سيكون لها الظهور التام ولا يبقى لطريقة
من الطرق ذكر في مستقبل الزمان فتضمحل الطرق وتبقى هذه الطريقة وحدها
وهذا هو الشائع من معنى كلامه بين المطلعين على اسرار هذه الطريقة ولا تفشى
لغير مريديها الصادقين خشية تنافس عوام الطرق مع عوام هذه الطريقة فيحصل
بينهم المجادلة والخصام والتقاطع والتدابر ونحو ذلك مما يتداخل فيه من اريد بهم
السوء ويحل بهم المكر من جهات مختلفة بما يبثه فيهم اصحاب الاغراض لما في
قلوبهم من امراض وهذه القولة وان لم تكن شطحا فهي قريبة من الشطح غير
ان المقصود منها تبشير مريديها بما انطوت عليه من التنويه بقدرها والتحذير
من الانقطاع عنها ومعلوم بين الشيوخ الناصحين ترغيب مريديهم بالوقوف مع ما
حدوه لهم والقيام به على قدم الصدق الى الوصول به الى النهاية والحصول على
الغاية وترهيبهم من التهاون بما اخذوا عليهم فيه العهو ومن الانقطاع عنهم لا في
حضرة الغيب ولا في حضرة الشهود فما هنا من مضمن الجملتين لم يهتك حرمة
الشرع ولم يهدم صرحا من صروحه المؤسسة على اصل تفرع عنه فرع اما قوله
إن تمسك بحبله فلا يخاف من شيء يصيبه لا من الله ولا من رسوله ولا من
شيخه فانه لم يقصد به تامين المريد من المكر وانما ضمنه التبشير له بما حصل
عليه من الفضل الاعلى في المقام الاعلى لانه دخل في حضرة محبوبية سيد الوجود
صلى الله عليه وسلم ومن اراد الله به خيرا لا يصيبه بمكروه حسب الضمان المحمدي
الذي تلقاه الشيخ رضي الله عنه لاحبابه ومحبيه ويقيد جميع ما ذكر هنا وذكر في
غير هذا الموضوع بان لا يامنوا من مكر الله فقد قال رضي الله عنه مما جعله
احبابه احبابه من سائر المريدين منصوبا بين اعينهم ما نصه واقول للاخوان ان من
اخذ وردنا وسمع ما فيه من دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب وانه لا تضره معصية
ان سمع ذلك وطرح نفسه في معاصي الله عز وجل لاجل ما سمع واتخذ ذلك
حالة الى الامان من عقوبة الله في معاصيه البس الله في معاصيه البس الله تعالى قلبه
بغضنا حتى يسبنا فاذا سبنا اماته الله تعالى كافرا فاحذروا من معاصي الله تعالى ومن

عقوبته الى ءاخرة وقد تقدم لنا الاشارة الى هذا مرارا ومن عرف مقصود الشيخ
من الترهيب والترغيب في ترقية المريد بما ليس عليه من مزيد لا يستنكف من
الشطحات التي لا تهدم ركنا من اركان الدين ولا تهضم حقا من حقوقه ولقد بين
الشيخ مقصوده من ترك المريد اوراد غيره بما نقله في جواهر المعاني عنه واختصر
المفيد منها حضرة هذا المنتقد فقال فيها ما نصه اعلم ان هذا الورد العظيم لا يلقن
لمن له ورد من اوراد المشايخ رضي الله عنهم الا ان تركه وانسلخ عنه ولا يعود
اليه ابدا فعند ذلك يلقنه من له الاذن الخاص والا فليتركه هو ووردده لان اوراد
المشايخ كلهم رضي الله تعالى عنهم على هدى وبينة وكلها مسالكة وموصلة الى الله
تعالى وهذا منا ليس تكبرا واستعلاء على المشايخ كلا وحاشا ومعاذ الله بل هذا
الشرط مشروط في طريقتنا لا غير فمن اراد الدخول فيها فلا بد له من هذا الشرط
ولا خوف عليه من صاحبه اياكان من الاولياء الاحياء والاموات وهو ءامن من كل
ضرر يلحقه في الدنيا والاخرة ولا يلحقه ضرر لا من شيخه ولا من غيره ولا من
الله ورسوله بوعد صادق لا خلاف فيه الى ءاخر كلامه في الجواهر فقد استشعر
رضي الله عنه نفس المنكرين عليه كما تنفس الصعداء فيه المنتقد في اشتراط
الانفراد به من ان ذلك عن تكبر واستعلاء ونحو ذلك فاستعاذ بالله من ذلك
وبين ان ذلك من شرط طريقته لا لشيء ءاخر مع ان الامن ممن ذكره للمريد
حاصل بوعد من النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ رضي الله عنه في هذه الطريقة
كما صرح بذلك هنا وقد حذر من الخروج من باب طريقته الى غيرها وفي ضمنه
الترهيب الشديد من رفض سائر الطرق لما في الخروج منها من نقض العهود
وحل القيود وغير ذلك مما يفوت به الخارج منها الخير الكثير والفضل الكبير
بما يستوجب به العقوبة دنيا واخرى فحذر بلسان الترهيب من ذلك حسبما ظهر
له ولا يخلو ترهيبه من نفس الشطح الخارج عن غيرة كبيرة على مريده وطريقه
بما لا ينتقد عليه فيه الا غير عارف بما يقوم به الناصحون المرشدون من الشيوخ
العارفين رضوان الله عليهم وبما نقلناه ظهر ماخذ الجملة الثالثة وهي قوله في تمله

ومن ترك وردا من اوراد المشايخ فلا يخاف والجملة الرابعة وهي قوله ومن دخل في زمرتنا وتاخر عنها تحل به المصايب وجميع ذلك ترهيب وترغيب في ارشاد المريد طبق ما نبهنا عنه وقد اطلنا النفس هنا بتقرير ما اورده هنا بذكر ما هو مقرر عند مريدي الطريقة لافادة من لا علم له بما تقرر فيها وان كان المنتقد لا يفيد معه ذلك ولو تكرر لديه اعلامنا له بان الشطحات عندنا ليست من الطريقة في شيء وانما تذكر للمريدين استنهاضا لهممهم ترغيبا وترهيبا وجميع ما ذكرناه انما هو مجاراة للمنتقد فيما علقه وهو قليل من كثير ومع كثرته بعبارات مختلفة وشطحات مدهشة فلا تمر على افكار مطالعها من الاحباب بما يفهم منه ما ينكر ولولا ما يتجلى اولا في مخيلة المبغضين في الشيخ رضي الله عنه وفي غيره من اهل الله على حسب ما يتصورونه فيهم بمقتضى بغضهم لراوا كلام العارفين في غاية الوضوح ولا احتاجوا فيه الى تعاليق وشروح ولكنها الاهواء عمت فاعمت ولله الامر من قبل ومن بعد

القولـة الرابعـة عشر

قوله رضى الله عه ان الله اعطاني الشفاعة في اهل عصري من حين ولادتي الى حين مماتي وزاد تلميذه في كتاب جواهر المعاني وزيادة عشرين سنة بعد وفاته

اعلم ان المجيب اورده هذه القولة ليعلق عليها ما علق بفكرته من الانتقادات المرة التي شهر لها اذياله المرة بعد المرة وهو وان لم يصرح بما يراه خلال سطورها مما يتراءى له فنحن عرفنا مقصوده وما يدندن حوله فكانه يقول ان الشيخ التجاني يقول اعطاه الله الشفاعة في اهل عصره ولا شك ان فيهم الكافر والمريد حتى المبغض له وناكث عهده برفض ورده ومنهم المنتقد عليه في زمانه ممن اخبر فيهم ان الحق فيهم وعيده فما هي هذه الشفاعة التي اعطاه الله في اهل عصره من حين ولادته الى وفاته والجواب عن هذه الارادات الوهمية ان الشيخ اخبر ان الله اعطاه ذلك بمعنى ان الله مكنه من الشفاعة فيمن شاء من اهل عصره ولا يبعد

ان تكون شفاعته لجميع المعاصرين له الا من اخرجهم بغضهم ونكث عهدهم حسبما اخبر به وكلامه يقيد بعضه بعضا اما زيادة عشرين سنة بعد وفاته من تلميذه في كتاب جواهر المعاني فقد اقرها الشيخ بالسكوت عنها وفي ذلك من اسرار الكشف الحاصل من كلام تلميذه المذكور ما تمت به مائة سنة وبضم العشرين سنة اليها يتم القرن الذي اكرم الله اهله بشفاعة الشيخ التجاني وليس في هذا ما يمس جانب الدين الاسلامي بادنى شيء يحط من كرامته او يخل بالمتحدث بهذه الكرامة الحاصلة له رجاء ومقصود الشيخ بالاعلام بهذه الكرامة تبشير اصحابه بذلك ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ويفرحوا بما بشرهم به من الشفاعة لهم مع اخوانهم وقد عرف من احوال العارفين بالله المقيمين في حضرة الشاكرين الراقين فيها بازدياد من الانعام عليهم في السر والجهر انهم يتحدثون بكل ما حصلت لهم البشارة به وما قال الشيخ هذا الا عن يقين من امره تبشرة من الحضرة المحمدية يقظة او مناما او بالهام حصل له به ما الزمه الاعلام بذلك لامور ارادها الحق تقر بها عين الاحياء وتقوم بها قيامة الاعداء فتبين بحمد الله ان المجيب هنا في نقله لهذه القولة على الوجه المذكور غير مصيب لكون الشيخ ما اخبر بذلك الا تحدثا بالنعمة على عادته من القيام بالشكر الذي بنيت عليه طريقته فانها طريقة شكر كما هو معروف بين اهلها المتمسكين بحبلها والفائزين بفضلها ثم انه لا نحتاج في تعضيد شفاعة العلماء والاولياء لغيرهم عند الحق تعالى بما ورد في ذلك وهو كثير وكل ذلك باذن الحق لهم لشفوق مرتبتهم لديه تنويها بقدرهم فمنهم من لم يطلب الشفاعة في غيره من الحق وامره بها ليقبل شفاعته في المشفوع فيه وما امره بها الا اعتناء به واظهارا لكرامته في الشفيع والمشفوع مثل الامر بالصلاة على الجنازة فهو من باب الاذن في الشفاعة في الميت لكرامة الميت على ربه ولرفعة قدر الشافع عنده فقدمه للشفاعة وقد امر ايضا الحق باختيار الشفيع فقال رسوله عليه السلام ايمتكم شفعاؤكم فاختاروا بمن تستشفعون ومنهم من سال منه ان يشفع في غيره وهم اهل الدلال مثل ما وقع لابي يزيد البسطامي فانه قال سالت ربي ان يشفعني في اهل

عصري فاذا بالهاتف يقول شفعناك فيهم وقد اعطى للشيخ رضي الله عنه الشفاعة في اهل عصره كما اخبر بذلك عن نفسه في هذه القولة المتحدث في شانها لا يقال ان المبغضين للشيخ في زمانه كثيرون فكيف يشفع فيهم وقد اخبر انهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين لما قرره العلامة بن المشري في جامعه قال قلت له يعني الشيخ والذي يتكلم في جانبك من اهل العصر قال ان لم يتب لم تنفعه شفاعتي لانه كافر والكافر لا شفاعة فيه قلت له وهل تمكن منك الشفاعة في الدنيا للمبغضين من غير توبة منهم قال لم تمكن لصرف قلوبهم عنا لما سبق نسال الله السلامة والعافية وهنا يختار المبغض لنفسه ما يحلو وماذا يضره لو سلم فسلم ولا يقف مع ما علم فقوق كل ذي علم عليم

القولـة الخامسة عشر

قوله جميع الاولياء يدخلون في زمرتنا وياخذون اورادنا ويتمسكون بطريقتنا من اول الوجود الى يوم القيامة حتى الامام المهدي اذا قام باخر الزمان ياخذ عنا ويدخل زمرتنا بعد مماتنا وانتقالنا الى دار البقاء هذه القولة يكاد لسان حال ناقلها هنا ان يصرح لسامعها بما ضاقت به حوصلته لدى قوله من اول الوجود الى يوم القيامة من انه لا يعقل اخذ من تقدم عمن تاخر مع كون هذه الطريقة واورادها لم تظهر الا بعد وجود الشيخ الذي نطق بها ونحن لا يضرنا ايراد مثل هذه الايرادات المعقولة في مثل هذه القولات المنقولة فنحن لم نسمع لفظ الشيخ والناقل لها وان كان امينا فلم يخبر بحالة الشيخ عند نطقه بها هل كان في صحو او سكر بخمرة التلذذ بالنعمة وحملها على الشطح عندنا لا يلزمنا اعتقاد مضمنها وان اعتقدنا ذلك فهو مجرد تنويه بالطريقة التي هي في الحقيقة طريقة سيد الوجود قد تلقاها الشيخ عنه وقد نطق على لسانه في دخول جميع الاولياء في زمرته ويكون قوله متعلقا بقوله فيدخلون والضمير في زمرتنا للنبي صلى الله عليه وسلم من اول الوجود او يكون قصد بالدخول في زمرته استمدادهم منه بسبب الفيوض الذي تلقاها

والقاها حسبما اخبر بذلك اولا عن نفسه واهل الله مصدقون فيما يخبرون به مما شاهدوه وان كان حضرة المنتقد لا يسلم كون الشيخ بهذه المثابة في نظره فهو عند غيره في حضرة التسليم منظورا اليه بغاية الاحترام والتعظيم ولا يضره عدم قبول هذه القولة لان الطريقة شيء وهذه القولة وامثالها شيء لا يلزم المريد قبولها واعتقادها مع انها لا تهدم قاعدة من قواعد الدين عند المهتدين لا المعتدين واما اخذ جميع الاولياء لاوراده وتمسكهم بطريقته فهو بعد وجود الشيخ لا يستبعده الا من لم يجتمع باولياء الله من كل طريقة فانهم يعترفون بالاخذ عنه في ظهر الغيب ويرون المدد الواصل اليهم ياتيهم على يده فالمراد باخذهم عنه استمدادهم منه كما ان المراد بتمسكهم بطريقه الاعتراف بصحتها وحصول النفع بها لمريديها الا ان ظاهر العبارة يشارع الفهم فيه لطريقته التي يلقنها لكافة المريدين خصوصا وقد قال ياخذون اوراده فتحمل هذه القولة على الشطح الحاصل فيه ترغيب اهل الاعتقاد لتلقيها عنه وعمن له الاذن الصحيح فيها عنه واما لفظة ياخذ عنا في حق الامام المهدي فهي في هذه القولة من ادراج المجيب فيها يتحقق بها مراجعها في محلها من الرماح ولقد تكلمنا على هذه القولة هنا بما عسى ان يكون للمريد فيه مقنع ولما يلقيه المنتقد مدفع والا فهي وامثالها من قبيل الشطح لايزيد في الشيخ الا محبة عند مريديه اعتقد ذلك من اعتقده وانتقده من انتقده لكونه من قبيل الترغيب وليس من الطريقة في شيء كما قلناه وفي غير ما محل قررناه وكررناه

القولة السادسة عشر

قوله ليس لاحد من الرجال ان يدخل كافة اصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا الا انا وحدي ووراء ذلك مما ذكر لي فيهم وضمنه عليه الصلاة والسلام امر لا يحل ذكره ولا يرى ولا يعرف الا في الاخرة وانه ضمن لنا ان من يسوءنا وداوم على ذلك ولم يتب لا يموت الا كافرا ولا يصل احد الي بسوء

مقصود المجيب بجلب هذه المقالة حسب ما تقضي به قرائن الاحوال تشويه
صورة اعتماد الشيخ على ما يخبره المصطفى صلى الله عليه وسلم لان هذا المجيب
لا يصدق الشيخ فيما اخبر به عن مشاهدة الحضرة المحمدية لا يقظه ولا مناما مع
انه لا سبيل له الى تكذيب الشيخ لان الشيخ اخبر بما رءا وسمع وله العلم الصحيح
الذي يعرف به بين الرؤيا الصادقة من غيرها وهو عند المعتقدين فيه على بينة من
امره طالبين من الله ان ينفعهم بسره ونحن تراب نعالهم زاد الله في معناهم ولقد
حاول سيادة المجيب ان يصرح بما تحت هذه القولة مما يتراءى له من خلال
سطورها فهو يقول من اين للتجاني ضمان نفسه في دخول الجنة فاحرى ان يدخل
كافة اصحابه اليها ولا شك ان هذا ان كان من هذا المجيب موافقا لاعتقاده الذي
يحمله للمبادرة لانتقاده فقد جرى فيه على سوء ظنه وتداخل في الفضول بين
العبد وربه والله يقول في الحديث القدسي انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاة
ونحن نتحقق بان هذا المجيب يحمل حسن ظن الشيخ على محامل سيئة حتى ان
لسان حاله حيث انه طبق قوله بتضليل الشيخ وتضليل اصحابه المعتقدين فيه ومحبيه
من سائر المريدين يقول انهم في زمرة المخاطبين بقول الحق جل علاه وذلكم
ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فنعوذ بالله من الخسران اللاحق بمن يلحقه
باهل العرفان وينزل المومنين منزلته ثم ان هذه القولة من الشيخ رضي الله عنه
تنزل منزلة المرءاة التي تظهر فيها صورة اعتقاد الناظر لوجهه فيها فيرى على
ذلك الوجه ما اسره من تصديق ينشرح به الصدور او غير تصديق انطبع فيه تاثير
حقد وبغض وغيرهما من الشرور فيراه عبوسا قمطريرا ويزداد اكفهرارا كلما
رءا بشاشة وجد سطورها تشير له باكفها بان يكف يد النقد بالتصدي لها ولامثالها
من صدع زجاجتها بحجارة الانتقاد ورميها بسهام العناد ونحن نعذر من انتقد من
اطلع على هذه القولة فيما يتراءى له على البديهة مما انطوت طياتها عليه ولا نحب
ان نصحح ما يتبادر للذهن من اباحة المعاصي لمريد هذه الطريقة على ان هذه الاباحة
التي يدعي المدعي انها تصرح بها هذه القولة ليست كما يدعي ولا يكون مقصودا

لقائلها ابدا التحقق الشيخ رضي الله عنه بان الله لا يامر بالفحشاء ولا بما هو مذموم بلسان الشرع الذي لا ينتهك حرمته الا متجرئ على الحق والخلق او كان فاقد التمييز او من اهل الحمق وحاشى الشيخ ومن انحاش اليه بالقول بما تقوله في ذلك اعاديه فتعين التصريح اولا بان هذه القولة صدرت عن شطح وغلبة حال تلقاها عنه من طلابها قبل مراجعته رضي الله عنه فيها واما ثانيا فيقضي علينا اعتقادنا ان نتكلم على ما انطوت عليه بتفصيل واجمال فان قوله منها ليس لاحد من الرجال ان يدخل كافة اصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب وان عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا الا انا وحدي هذه القولة وان زعم المنكر انها دعوى ولسان حال المنتقد يقول هذه القولة لا تقال للخاصة فضلا عن العامة حتى لا يتكلوا على هذه المزية التي ذكرها هنا لم تكن الا للعشرة المبشرين بالجنة بين الصحابة الحقيقيين فكيف تكون لمطلق المريدين من اصحاب هذا الشيخ من بين سائر الشيوخ في ادخال كافة اصحابه الجنة الى اخره فيقال على فرض هذه القولة لم تكن عن شطح فانما صدرت منه اعتمادا على ما اخبره سيد الوجود صلى الله عليه وسلم في اصحابه واحبابه وليس هناك ما يحجر على الحق في ادخال طائفة من عباده للجنة بلا حساب ولا عقاب ويكون في الصف الاول منهم اصحاب هذا الشيخ وهذه المزية لا تقتضي بتفضيل اصحابه على اصحاب الرسول وهي في من تحققت صحبته للشيخ لا لمطلق الناس المدعين لصحبته وبينه وبينها بون فكثير ينتسبون لصحبته وليسوا باصحابه ممن هو مكتوب بين عينيه ليس بتجاني واصحابه هم الذين عملوا بشروط طريقه ممن لا يامن مكر الله ولا يتكل على عمل من الاعمال ويطلق نفسه في ميدان الهوى وغير ذلك ممن حذر منه الشيخ رضي الله عنه في رسائله وغيرها وقد نقلنا طرفا من كلامه في غير ما موضع مما كتبناه وتكفي الاشارة اليه هنا والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

القولة السابعة عشر

قوله انه عليه الصلاة والسلام قال له بعزة ربي يوم الاثنين والجمعة لم افارقك فيهما

من الفجر الى الغروب ومعي سبعة املاك وكل من رءاك في اليومين المذكورين تكتب الملائكة اسمه في ورقة من ذهب ويكتبونه من اهل الجنة

قد نقل المجيب هذه القولة من جملة ما ذكره استعظاما لامرها في جانب الشيخ من النبي صلى الله عليه وسلم زاعما انها من دعاوي الشيخ العريضة وافتراءاته على الحضرة المحمدية وهذا واكثر منه مفهوم من اوائل كلامه ولواحقه وما كان من حقه ولا من امثاله الجولان في هذا الميدان حيث تداخلوا بفضولهم فيما لا تقبله عقولهم بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولو نقل لهم هذه القولة عن بعض شيوخهم او من يعتقدون فيه لنوهوا بقدره وابدوها بما لا يقبل عند غيرهم ولا يعقل ومثل مضمن هذه القولة عن العارفين كثيرا ما ينقل مع ان ما ذكره الشيخ رضي الله عنه لا شيء فيه يخل بقواعد الدين فانه اخبار منه بما سمعه من سيد المرسلين ورءاه لا سبيل لانكاره لعدم موجبات الانكار عند المنصف اما المتعسف فانه غير راض عمن ينقل هذا او ينقل عنه فالكلام معه لا يجديه نفعا ولولا انا خشينا على ضعفة العقول ومن ليس معهم معقول ولا منقول ان يؤثر فيهم ما يلقيه عليهم المنكرون بسفاسف السفاسط لاعرضنا عن الجاهلين ولا تعرضنا لنقض ما ابرمه المنكرون مما يجعلونه مخالفا للدين فنحن لا نجهل اذا جهلوا او تجاهلوا ولا تشدهم قول القائل

الا لا يجهلن احد علينا   فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ولكن لسان الحال من الحضرة الاحمدية يخاطب كل مريد لنيل المزيد بقول القائل في الاخذ بالعفو عن الجاهلين والاعراض عنهم ولله دره في ذلك

خذ العفو وامر بعرف كما   امرت واعرض عن الجاهلين

ولن في الكلام لكل الانام   فمستحسن من ذوي الجاهلين

ثم ان هذه القولة المنشورة لا ينكر ثبوتها للشيخ رضي الله عنه وعندنا من مبشرات الشيخ ما يضاهيها خير كثير فان النبي صلى الله عليه وسلم يحضر عند السابعة من تلاوة جوهرة الكمال ولا يزال حاضرا مع التالي الى ان يسكت وقد كوشف لكثير من الاحباب فراوه حاضرا معهم ويحضر لدى المحتضر من مريديه

بوعد منه عليه السلام فشاهده كثير ممن حضرتهم الوفاة واخبروا بحضوره لديهم في ذلك الوقت الذي تذهل فيه العقول وحصل بحمد الله لهم اليقين حتى صار من المجربات بين الاخوان ان المريض من المريدين في حال مرضه الذي يموت فيه تداخله حال من كثرة مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم ويخبر بذلك حاضريه عند احتضاره فيتيقنون بقرب وفاته ويستعدون لحضور جنازته وما دام لم تحصل له هذه الحال الا وهم في اطمئنان من جهته من نزول الموت به بل يجزمون بانه لا يموت الا اذا انزلت به تلك الحال المشار لها وهذا الامر يتحقق به كل من عرفه من احوال الاخوان بالتجربة بحضوره لدى الكثير من المحتضرين منهم اما عدم مفارقته صلى الله عليه وسلم للشيخ رضي الله عنه يوم الاثنين ويوم الجمعة فليس فيه ما ينكر عند من عرف ما للحضرة المحمدية من حضور همتها مع كل فرد فرد من الموجودات الفانية والحاضرة والمستقبلة بامدادات منه عامة وخاصة طبق ما هو معروف بين الاولياء المحمديين وليس في هذا ما يخالف الدين ولا ما يهدم قاعدة من قواعده وانما يستعظم هذا من لم يستمد بمدد عرفاني يذوق حلاوته من مورد العلم الصحيح الذي يؤيده الكشف الصريح فيقف عند العقل المعقول بالنظر للمحسوسات وبالفهم الذي لا يسع غير المعقولات اما اهل الفهم عن الله والمستمدين من الحضرات الاحمدية من اهل الله وبواسطة اهل الله فان هذا الامر يكاد ان يعد عندهم من قبيل المحسوسات ونحن الان لا نستدل على مثل هذا الامر بعلم التنويم ولا بفن استحضار الارواح مما ضربت به المادة وعلماؤها بضربة طاطاوا برؤوسهم للاذعان بالتسليم لوجود اشياء لا قبل لهم بها من وراء العقل ولم يبق لهم شك في ان الارواح المجردة وغير المجردة لها في الكون من خوارق العادات شيء لا يعقل وهو في الوجود غير مستحيل حتى ان من اهل هذا الفن من يتحقق بحضور من ذكر اسمه لديهم طبق ما كان يحدث به غيرهم من ان الخضر عليه السلام يحضر بمحضر من يذكر اسمه وان لم يره وهؤلاء القوم يرون المذكور اسمه لديهم وليس هذا بخارج عما يعقل او هو حديث خرافة بل انتصر لهذين الفنين

اربابهما والشهداء لهم كثيرون ونحن وان لم نرتب في حضور الارواح في مراسم تمثيل الاستحضار والتنويم ولا نستبعد ان يكون ذلك من قبيل تلاعب الجن بمن حضروا لذلك واستحضروه ولكن فرق بينه وبين حضور النبي صلى الله عليه وسلم طبق ما ذكرناه ولا يمكن لاي خصم كان ان يقول ما يحضر عند الشيخ رضي الله هو من قبيل الجن لانا نقول اما ان يكون هذا الجني الذي يزعم المنتقد انه هو الحاضر مومنا واما شيطانا فالمومن لا يمكن ان يدلس على من حضر لديه بانه هو نبي الله عليه السلام خصوصا عند العارف باوصافه واما الشيطان فانه لا يتمثل بالنبي صلى الله عليه وسلم فان قال سلمنا ان المرءى غير جني ولكن الشيطان يحضر لدى من شاهد الطلعة الشريفة وربما تكلم بما يظنه الرائين من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وقد تكلم بصوت يشبه صوته كما في حديث تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وقد سمعه من حضر مع النبي صلى الله عليه وسلم من مسلمين وكفار وهذا قيد حياته صلى الله عليه وسلم فاحرى بعد وفاته فاحرى في حالة من احوال خرق العادة فنقول حديث الغرانيق باطل لا اصل له ولا يستدل به الا غير محدث او محدث لم يتتبع طرقه ومن عرف حفظ الله لكلامه من كل طارق وطارىء لا يرتاب في بطلان حديث الغرانيق من غير تتبع طرقه لان علامات الوضع محتفة به من سائر الوجوه وقد سئل سيدنا رضي الله عنه عن هذا الحديث فحكم ببطلانه حسبما هو منقول في كتاب جواهر المعاني فلا نطيل هنا بنقله واما التكلم بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم لدى رائيه في رؤيا منامية او في اليقظة فهو وان قال بجوازه جماعة فانه يمكن ان يدلس بذلك على غير العارف الذي هو من بحر النبوة غارف لان العارف بين عينيه ميزان الشرع منصوب يزن به ما يسمعه عنه من تبشير وتحذير ونحوهما مما يتحقق بانه صادر عن يقين من الحضرة المحمدية وما هو صادر من غيرها من مردود او مقبول وكل كلام فهو محتمل لذلك الا كلام الرسول فانه عليه السلام قد اخبر الشيخ بانه لا يفارقه في اليومين المذكورين وذلك ليكثر من الصلاة عليه ويزداد اقبالا على الحضرة المحمدية بما

يتعين عليه من استحضار واحترام وءاداب لائقة بالمقام ونحو ذلك مما في طي ذلك من اسرار فهذا بعض ما يتعلق بالشق الاول من هذه القولة واما الشق الثاني من قوله له عليه السلام في هذه القولة وكل من رءاك في اليومين المذكورين تكتب الملائكة اسمه في ورقة من ذهب ويكتبونه من اهل الجنة فقد روينا عن الشيخ رضي الله عنه انه قال قال لي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم من رءاك اورءى من رءاك لا تمسه النار فكان يقول من رءاني او رءا من رءاني لا تمسه النار وقد قال مثل هذه القولة جماعة من اهل الله ونقلت عنهم بالتواتر ولم ينكرها الا من لا اعتقاد له في ابي يزيد وامثاله وقد ذكر بعض من ترجم لابي يزيد ان بعض الامراء شد الرحلة الى بلده فوجده قد توفي فسال هل هناك من يعرفه فجيء له برجل كبير السن فقال هل رايته فقال رايته وسمعت منه يقول من رءاني او رءا من رءاني لا تمسه النار فقال كيف يقول هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم رءاه ابو جهل وهو في النار فاجابه بقوله ان ابا جهل لم ير النبي صلى الله عليه وسلم وانما رءا يتيم ابي طالب فاستفاد منه ان المدار على الاعتقاد واما اهل الجحود والانتقاد فانه لاحظ لهم من تلك المبشرات التي لم تنقض بانقضاء الوحي وهي ايضا من قبيل الرؤيا الصالحة التي يراها الرجل الصالح او ترى له وليس في هذه القولة ما يقضي بمخالفة الشرع على ان ما ذكر ايضا اخبار بما تلقاه الشيخ عن سيد الوجود وهي بشارة له ولمن اعتقد فيه وعلى الاقل ان لا يكون منكرا وان يعرف الشيخ رضي الله عنه فان تلك النظرة تنفعه بحول الله ولا يقال ان في هذا لبس حلة الامان من مكر الله لا في خاصة نفس الشيخ ولا في حق من رءاه لان الشيخ رضي الله عنه دائما يحذر اصحابه من الامن بذلك ويخوف احبابه من الركون للامن ولهذا نقول جميع ما يدل على الامن من مكر الله او ما فيه رائحة التبجح بشكر النعمة من حلول مرتبة او التبشير ببشارة فجله عن شطح بالفرح بالمنعم ونعمته فالمتعين عندنا حمل ذلك على الشطح ولم يصدر بحمد الله شطح في الحضرة القدسية من الشيخ كما اشرنا الى ذلك مرارا وغالب ما يصدر منه ذلك في جانب المقام

الاحمدي بالفناء بالمحبة فيه وهو امر غير مستنكر بين العارفين وقد حصل لنا بعض ما من الشطح ما كتبناه عن وارد قهري الزمنا ذلك بما تعرضنا له في الشطحات الكبريتية وما كتبنا ذلك الا عن غلبة حال والناطق في الحقيقة بما نمليه هو الشيخ رضي الله عنه فما في تلك الشطحات هو من كلام الشيخ فيما يظهر منه التبجح ما في تحصيل سر من الاسرار او الترقي لمقام رفيع المقدار وياليت المنتقد ذاق من حلاوة القرب او مرارة البعد ما ذاق منه اهل الحب ثم ينتقد بعد ذلك ولكن جرت عادة الحق في الخلق ان لا يذوق من ذلك الشرب المنكرون الكافرون بشكر النعمة ولله في خلقه شؤون

القولــة الثامنــة عشر

قوله لو بحث بما علمنيه الله تعالى لاجمع اهل العرفان على قتلي وهذه القولة لم ادر موجب ذكرها في جملة ما ذكره الا انه ربما يكون قصد ان ما لم يفشه الشيخ اكبر طامة في نظره مما ذكره ولا شك ان هذه القولة صدرت منه وهو في كامل الصحو مخبرا بما اتاه الله من العلم اللدني الذي هو من المكنون المصون الذي ينكره على اهله اهل الغرة بالله وفي مثله يقول زين العابدين

يارب جوهر علم لو ابوح به لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا

ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون اقبح ما ياتونه حسنا

وربما يشم منه رائحة كراهته لما تشير اليه هذه القولة من شكرها حبا لما انعم الحق عليه من العلوم الوهبية مما لا تحمله اواني اهل العرفان فضلا عن غيرهم فرماه هذا المجيب بالتبجح باعلامه بكتمهما علمه الله تعالى فاستعظم المجيب مضمن هذه القولة واستنكرها وجعلها خاتمة ما نقله وفذلكة لما حسبه مما قاله وتقوله مع انها عنوان على كمال فضل الشيخ رضي الله عنه ودلالة قاطعة على انه حريص على كتمان ما يشوش افكار الراسخين في العلم فضلا عن غيرهم طبق ما قلناه وفهمناه ونقول به ويفهمه كل منصف وكانه يقول ان ما بحث به مما يكبر

في اعين القاصرين عندي امور اخر اعلى واغلى واحق بالكتمان وكل ما صدر
مني من ذلك فما فعلته عن امري بل كل ما صرحت به فهو عن اذن او غلبة حال
وما بلغكم عني فزنوه بميزان الشرع فاتضح للمنصفين ان الطريقة التجانية التي
يقال للمريد فيها تجاني ويحق له ان ينتسب لها بملازمته لشروطها والقيام باركانها
ليست هي هذه القولات ولا ما انطوت عليه التقولات وانما هي كما قلناه ولا زلنا
نقوله مجرد ورد ووظيفة وذكر جمعة مع المحافظة التامة على اداء الواجبات ولا على
المريد شيء في عدم اشتغاله بالمناضلة عن الطريقة وما يضاف اليها من صحيح القول
وسقيمه لان الطريقة شيء وذلك شيء وان كانت المحبة تقضي على المحب بالدفاع
عنها الى النفس الاخير من غير تاخير الا اذا كان قصير باع في تناول موضوعات
المواضع التي يجول فيها المتقدون فربما يتغلبون عليه بما يلقونه من سحر البيان
وليس في يده العصى التي تلقف ما يافكون من زور وبهتان وربما شككوه فوقع
في شكهم مع ان المريد الصادق على بصيرة ويقين تام فيما تلقاه عمن لقنوه
الطريقة وشرطوه عليه بالوقوف على عين الحقيقة ان ما تحصل لديه في ذلك بالاذن
هو الورد والوظيفة وذكر الجمعة واما غيرهما مما يخوض فيه الخائضون سواء كان
حقا او باطلا فانه غير مطالب به ولا مسؤول عنه اذا اعرض عنه بالكلية لذلك
نصح للاخوان ان يساعدوا انفسهم عن تصحيح ما ينسب للشيخ رضي الله عنه
او ابطاله من مثل هذه القولات اذا لم يكن لديه بها سند لان ذلك ليس من
الطريقة في شيء مع كوننا نعذر المحبين في قيامهم في وجوه المبغضين والمنكرين
عليهم وعلى شيخهم وطريقته والمحب معذور فيما يصدر منه من قول وعمل
والمنكر عليه ملوم ولو يحق اذا لم يسلك طريقة الرفق عند كل من عقل ونحن ما حملنا
على ما اظهرناه من الحقائق الا المدافعة عن الحق الذي هضمه المنكرون بما قضاه عليهم
الغرض الشخصي من هدم ما هو مشيد من منار الحق للسالكين ونعوذ بالله من كل ما يفضي اليه
الهوى ويقضي به على اهله في القرب والنوى واني ما قلت الا حقا ان اريد الا الاصلاح
ما استطعت في جانب الطريقة وزعيمها فان فضائلها لا تحصى وخصائص الشيخ لا تستقصى

والله والله ولله العظيـم ومن　　　اقامه حجة للحق برهانـا
ان الذي قلت بعض من مناقبه　　　دع الجهول يظن الحق بهتانا

ومن جهل شيئا عاداه وهذا بعض مما يتعلق بهذه القولـة على فرض صحة نسبتها للشيخ رضي الله عنه مع ان المحفوظ عن الافادة الاحمدية هو قوله لو ذكرت لكم حقيقة واحدة من حقائق الفاتح لما اغلق لافتى اكابر العـارفين بقتلي وهذه القولة لو اطلع عليها سيادة المجيب لنقلها ليخدش بها في وجه فضيلة الفاتح لما اغلق حتى لا يذكرها احد لكونها ذات فضائل لا يقبلها سديد عقله ولا ينبغي ان تكون من فعله فليدعها لاهلها المصدقين لفضلها ولله عاقبة الامور فهذا بعض مما يتعلق بهذه القولات الثمانية عشر التي عرضها هذا المجيب في سوق المنتقدين سوء ظنه في الشيخ التجاني وطريقته واهلها وفي سائر المعتقدين وقد تعرضنـا لما لها من المكانة في قلوب محبي الشيخ والعارفين بقدره علما وعملا وكمال دلالتـه على الله بالهمة والحال ولسان المقال فانه بمجرد ما يسمع المريد انها من كلام الشيخ يحملها على اكف المبرة ويفهم منها ما لا يفهمه هذا المجيب كما تعرضنا لما يقوله المبغضون في هذه الطريقة وما يتقولونه عليها وما يفهمونه من مثل هذه العبـارات حيث يبرزون فهمهم في صورة منكر يمشي على رجلين وعلى اربع يخلق الله ما يشاء من هذه الصور وغيرها من كل محمود عند العارفين به ومن كل مستنكر بين اهله والطيبون للطيبات والخبيثون للخبيثات ولقد صرحنا بما اشار اليه هذا المجيب وبما هو مقصوده بما دل عليه قرائن احواله والقاه علينا جماعة من امثـاله فهو وان لم يصرح بذلك فما هو الا بعض مما قصده هنالك ونحن لم نقصد بذلك كله الا بيان الحقيقة ونصر الحق بالحق والحق يظهر من معنى ومن كلم اما قول هذا المجيب بعد ذكره لتلك القولات وحسبنا هذا من مقالاته يعني من مقالات الشيخ المنقولة عن تلاميذه المعاصرين له والذين جاءوا من بعده فجهدوا في شرحهـا والتماس حكم واسرار لها في تاييدها والنضال دونها والاحتجاج بها نفسها على من ينكرها ويفندها وهذا شيء غريب لا يحسنه الا اهله ولا حول ولا قوة الا بالله فهذا كله

ونحن نقول يستغرب حقا من يقف على قوله وهذا شيء غريب اتفاده من جلب
تلك الاقوال التي ظن انها وفت له بما اراده ولقد علقنا عليه تعليقات لم تجاوز
فيها حد الانصاف ولم نقابله بمثل تعصبه خشية الخروج عن المقصود من بيان الحق
لمن اراده وقد سمع الناس منه ان هاهنا انصارا جهدوا في شرحها والنضال دونها
وما هو الا قد اطلع على ما كتبوه وبينوا المقصود منها اتم بيان بما هو ظاهر فيما به
لم يخالفوا فيه السنة والقرءان وما هو عليه المدار في الاسلام والايمان وياليته لو
ساق ما اجابوا به عنها وتعقبه بما يعرض على الانظار ولم يكن في ذلك ممن يقف
على ويل للمصلين ولم يزد الذين هم عن صلاتهم ساهون ولا ممن حذف ما قبل
قوله تعالى ان الله ثالث ثلاثة فشوه بذلك وجه الحق واقام قنة بما ذكره بين الخلق
والعذر لهم فيما ينكرون عليه ان قال لهم مقسما بايمانه وان ما وقف عليه وتلاه
لمن كلام الله طبق اعتقاده وايمانه فلا شك ان غير الحافظ لتينك الايتين الشريفتين
ينكر ذلك بلا مين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم من مثل هؤلاء المكابرين
المحرفين للحق ويتحلون بحلية اهل الحق بين الخلق وحسبنا منهم انهم يعرفون
انفسهم طبق ما هي عليه من عدم الصدق ونراهم من الجاحدين او من الجاهلين
جهلا مركبا بين العالمين وما هم من الضلال ببعيد ولله الامر من قبل ومن بعد وحسبنا
الله ونعم الوكيل

الخطا والصواب لكتاب السراط المستقيم

صفحة	سطر	الخطا	الصواب
٤	٩	غرفت	غرقت
٤	١٥	قايلا	قائلا
٥	٢٠	قدو	قدر
٧	٨	الذنن	الذين
٧	٢٠	ال	الى
٨	١١	المتجردين	المتجرئين
٨	١١	بشيخنا	بشيخنا
١١	١٩	تحملها	تحملها
١٢	٢	ومن	من
١٢	٣	فقال	قال
١٣	١٥	اجربتها	اجوبتها
١٥	٢٥	لنا حياض	هنا ياض
٢٦	١٧	ولغد	والقد
٣٢	٢	كونة	كونه
٣٣	٢٢	كونها	كون
٣٩	٣	ابناء زمانهم	انبياء الزمان
٤١	٧	بلا خلوة ربا وربته الخلوة	بلا خلوة ربا وربوا بخلوة
٤٤	١٨	ويكرد	ويكون
٤٥	١٧	بحقيقتها	بحقيقة

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٥١	١	السارية	السرية
٥٤	٦	شضح	شطح
٥٨	١٣	المشاد	المشار
٦٣	١٧	الانبيد	الانبياء
٦٣	١٨	وقاه	وقد
٦٥	١٥	تصدق	تصدى
٧٠	١٦	العالمرن	العالمون
٧٧	١٩	لم	لو
٧٨	١٨	اجملة	الجملة
٧٨	١٩	تسج لجيع	تسخ جميع
٨١	١٧	شهر	شعر
٨١	٢٢	الشخ	الشيخ

